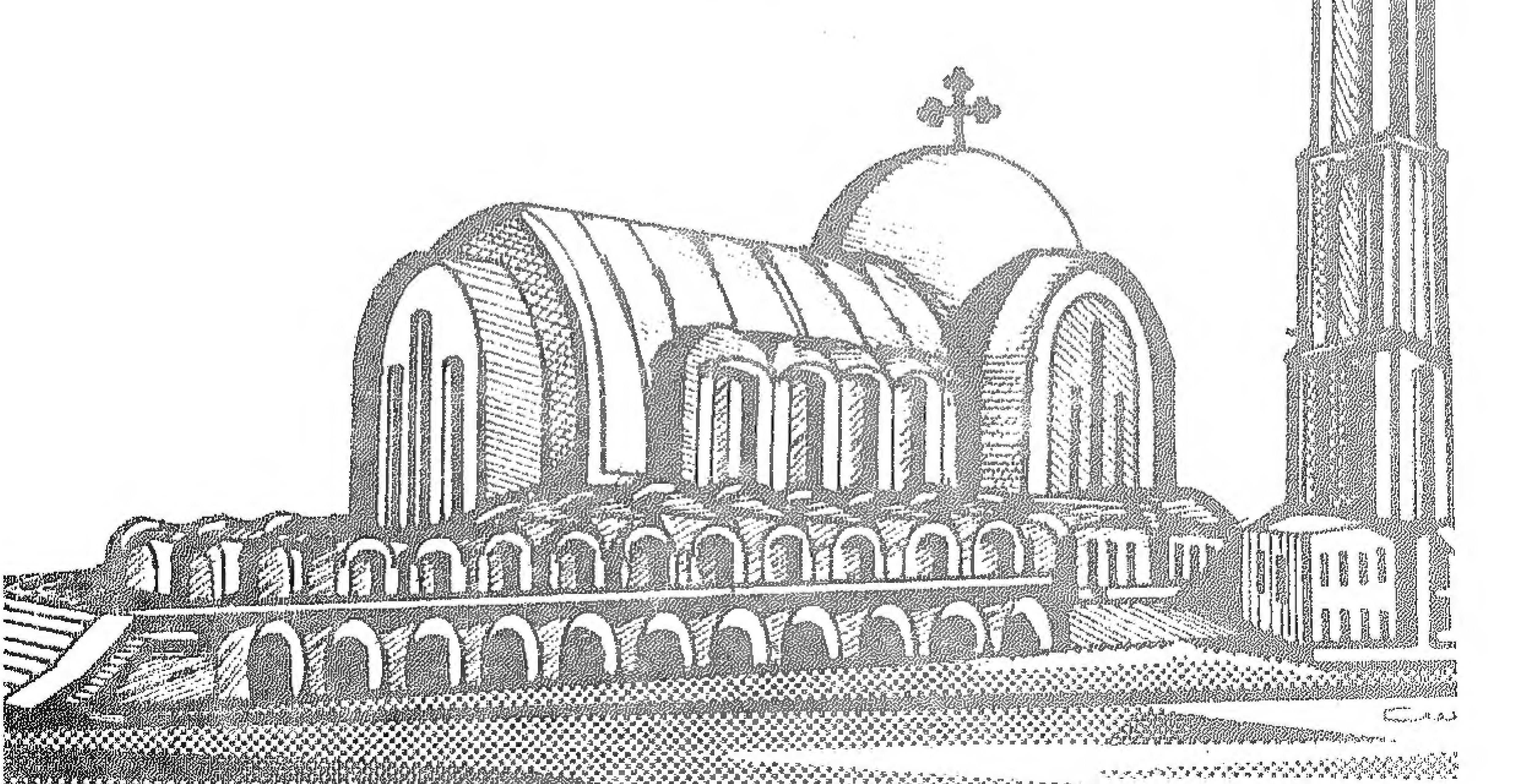
البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

"٢"

الوجود مع الله



اهداءات ٢٠٠٢

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

الاسكندرية

البابا شنوده الثالث

سلسلة الله والإنسان

[٢]

الوجود مع الله

BEING WITH GOD
BY H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة الثامنة

فبراير ١٩٩٧

القاهرة

8th print

Feb. 1997

Cairo



صاحب القداسة

البابا شنوده الثالث



باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد - آمين

تصـــدير

نقدم لك أيها القارىء العزيز خمس محاضرات ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى أيام الجمعة من أول مايو ١٩٧٠ إلى ٥ يونيو ١٩٧٠ ، عن « الوجود مع الله » . وذلك فى فترة الخمسين يوماً المقدسة ، والكنيسة تتذكر وجود التلاميذ فى حضرة الرب ، فى تلك الأيام المملوءة فرحاً .

وتطرق هذه المحاضرات إلى حقيقة الوجود مع الله والإحساس بهذا الوجود .

والأوقات التى نحس فيها أننا مع الله .

وشهوة الوجود مع الله .

والمشاعر والعلامات التى تصحب الوجود مع الله : مثل الحب ، الفرح ، السلام ، الخشوع ، البر والقداسة ، الشجاعة وعدم الخوف ...

نقدمها لك بعد مرور أحد عشر عاماً على إلقائها ، لعلك لم تسمعها فى ذلك الحين .

شنوده الثالث

[١]

الوجود مع الله

« الـذيـن أراهـم أيـضـاً نـفـسه حياً ، ببراهين كثيرة ، بعدما تألم » ، « وهو يظهر لهم أربعين يـومـاً ، و يـتـكـلـم عـن الأمور المختصة بملكوت الله » .

(أع ١ : ٣)

هذه الأربعين يوماً ...

أود أن أكلمكم اليوم عن هذه الأربعين يوماً ، التى قضاها المسيح مع تلاميذه بعد القيامة ، وعن دلالاتها ، والفوائد الروحية التى نجنيها منها ...

أعمال كثيرة عملها الرب قبل صلبه وموته عنا ، وأعمال أخرى عملها بعد قيامته ... فقد قضى هذه الأربعين يوماً مع تلاميذه ، يحدثهم عن الأمور المختصة بالملكوت :

يضع لهم أساس الكنيسة ، ويسلمها عقائدها وطقوسها ، يسلمهم الأمور الخاصة بالرعاية ، ويثبتهم فى الإيمان ...

يحولهم من الخوف والفزع والإضطراب والشك ، إلى اليقين والقوة ، فى صلابة الإيمان . يجعلهم بعد الأربعين يوماً مستعدين أن يجابهوا العالم كله بقلب قوى . لقد أخرج من العلية هؤلاء الخائفين المختبئين ، لكى ينشروا الإيمان فى العالم كله ...

كانت أياماً لازمة لتأسيس الكنيسة . وكانت أيام فرح :

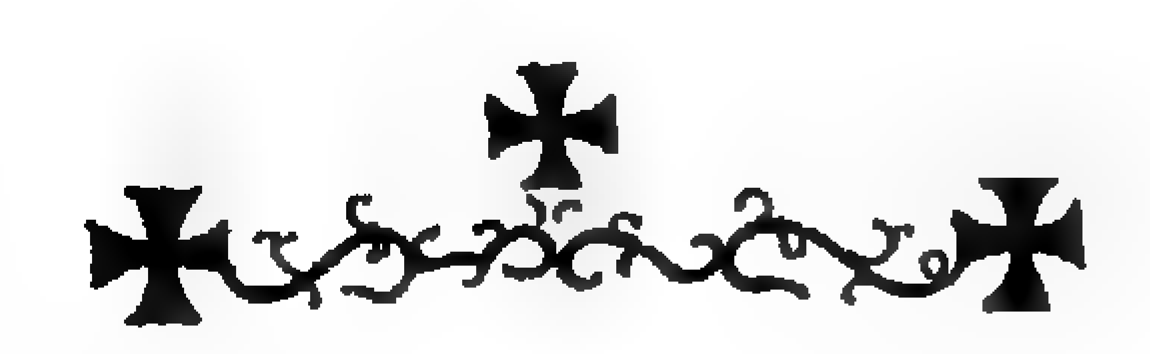
لقد قال لهم الرب من قبل « ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... سأراكم فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو١٦ : ٢٠، ٢٢) .

واحتفالاً بهذا الفرح ، لا تصوم الكنيسة ، ولا تنقطع عن الطعام ، لأن الرب قال : هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟! مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا ، ولكن ستأتى أيام ، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون (مر٢ : ١٩ ، ٢٠) .

ولذلك فحتى صوم يومى الأربعاء والجمعة ، الذى تصومه الكنيسة على مدار السنة ، ولا تمنعه سوى الأعياد السيدية الكبرى ، هذا الصوم يمتنع فى هذه الأيام ، التى لا نذكر فيها الصلب ولا التآمر ، إنما نذكر وجود الرب مع تلاميذه ...

أيام الفرح هذه ، أيام لقاء الرب بخاصته وأحبائه ، ليس فيها أيضاً مطانيات تذلل ، ولا فيها ألحان حزن ... حتى أنه إذا توفى خلالها أحد المؤمنين ، يدخل الكنيسة بلحن الفرح ، بلحن القيامة ، ولا تسمعون مطلقاً لحنا حزيناً فى الجنازات ...

إنها أيام جميلة فى اختباراتها الروحية ، وفى أحداثها ، وفى فاعليتها . وأفضل تدريب فيها هو اختبار الوجود مع الله ...



الله مع أحبائه ...

كان التلاميذ فرحين إذ رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠).

وكان الرب فرحاً أيضاً بوجوده وسط أحبائه.

هذا الذى « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣ : ١) ... إنه يريد أن يكون معنا ، وأن نكون نحن أيضاً معه ، الآن وإلى إنقضاء الدهر...

أليس إسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا (مت ١ :٢٣)

لذلك قال لتلاميذه فى يوم الخميس الكبير :

« أنا ماض لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وآخذكم إلىّ ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يو١٤ : ٣) .

ونفس هذا المعنى ، قاله فى مناجاته للآب :

« أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى ، يكونون معى حيث أكون أنا » (يو١٧ : ٢٤) .

إنه لا يريد فقط أن نكون معه فى الأبدية ، إنما يعدنا بذلك على الأرض أيضاً ، فيقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر »

(متى٢٨ : ٢٠) وأيضاً «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي، فهناك أكون في وسطهم» (متى١٨ : ٢٠).

وبالنسبة إلى كل فرد يحبه، يقول «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤ : ٢٣).

وليس فقط عن الأحباء ههنا، بل أيضاً عن الذين انتقلوا إلى الفردوس، قال للص اليمين «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو٢٣ : ٤٢).

ومع الخدام والرعاة، يقول عنه سفر الرؤيا «الممسك السبعة الكواكب في يمينه، الماشي في وسط السبع المنائر الذهبية» (رؤ٢ : ١) أي أنه في وسط الكنائس، وفي يديه رعاتها ...

هذا الذي يوجد معنا، على الأرض، وفي الفردوس، وفي الأبدية، في وسط الكنائس، ومع الرعاة، ومع المصلين في كل مكان على الأرض، ومع كل إنسان يحبه ...

ترى على أي شيء يدل هذا ؟

أيدل هذا على محبته، أم على لاهوته إذ هو في كل مكان؟ أم على الأقل ... وجوده معنا ...

أيضاً فى مجيئه الثانى ، نلمح نفس هذه الحقيقة : سيأتى على السحاب ، ومعه ربوات قديسيه (يه ١٤) . وحينما يجلس للدينونه ، يكون أحباؤه معه « ... على اثنى عشر كرسياً ، يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (متى ١٩ : ٢٨) .

وفى هذا المجئ الثانى ، يقول القديس بولس الرسول :

« ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف معهم جميعاً فى السحب ، لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » (١تس ٤ : ١٧، ١٨) .

نعم ، ما أحلى هذه الأنشودة : ونكون كل حين مع الرب .

لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام ...

حقاً ، إن الوجود كل حين مع الرب ، هو « ما لم تره عين ، وما لم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . » .

ما أجمل أن الرب فى التجلى ، لم يكن وحده ...

ظهر معه فى هذا التجلى موسى وإيليا ، رمزاً للمتزوجين والبتوليين ، ورمزاً للذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد ، ورمزاً لأهل الوداعة يمثلهم موسى (عد ١٢ : ٣) ، وأهل الحزم يمثلهم إيليا (١ مل ١٨ : ٤٠) . الكل مع الرب على جبل التجلى ...

ولكى تكمل الصورة ، فى حادثة التجلى . قال الكتاب إن الرب أخذ معه إلى الجبل بطرس و يعقوب و يوحنا (متى ١٧ : ١) ... فكانوا معه .. رأوا هذا المجد ، وسمعوا الصوت من السحابة ...

ومجد التجلى ، يذكرنا أيضاً باورشليم السمائية ، حيث نرى الله يسكن مع شعبه . وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرائى : وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً :

« هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم » .
« وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم ، إلهاً لهم » (رؤ ٢١ : ٣) .

إنها نفس الصورة القديمة لخيمة الإجتماع « الله وسط شعبه » . ولكنها هنا فى مجد وحب وبر ، حيث لا خطية من الناس تحتاج إلى ذبيحة ، بل الكل طاهر...

كل هذا نتذكره فى الأربعين يوماً ، ونحن نضع أمامنا صورة الرب وسط تلاميذه القديسين ، أحبائه واولاده ...

إننا فى هذه الأيام نحتفل بوجود الله معنا ، أو على الأقل نطلب إليه ذلك ، كما فعل تلميذا عمواس ، إذ « ألزماه قائلين :

أمكث معنا ، لأنه نحو المساء ، وقد مال النهار (لو ٢٤ : ٢٩)

يقول الإنجيل ، مكملاً هذا المعنى الجميل ، إنه « دخل ليمكث معهما . ولما اتكأ معهما ، أخذ خبزاً و بارك وكسر، وناولهما . فانفتحت أعينهما وعرفاه » ...

ما أحوج كلاً منا أن يقول له : امكث معى يا سيدى . وكما باركت فى ذلك الزمان ، الآن أيضاً بارك ...

من ذلك الزمان ...

إن قصة « الله معنا » هى قصة قديمة ، ودائمة ... ما أكثر ما ترددت فى الكتاب ، وسمعها واختبرها آباؤنا القديسون . .

بدأت منذ كان الله مع آدم فى الفردوس ...

وهناك كان يكلمه ، و يباركه ، ويمنحنا أيضاً سلطاناً (تك ١) . وبالخطية زال الإحساس بالوجود فى الحضرة الإلهية ، وشعر الخاطىء بانفصاله عن الله . وظهر هذا الإنفصال فى عمقه ، حينما صرخ قايين قائلاً للرب « ذنبى أعظم من أن يحتمل . إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى » (تك ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

نعم ، إن الخطية تسبب إنفصالاً عن الله ...

فيها يصرخ الخاطىء و يقول « لا تطرحنى من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥٠) « لا تصرف وجهك عنى » « حتى متى تحجب وجهك عنى » (مز ١٢) .

حينما يبتعد الإنسان عن الله ، يحس الله مبتعداً عنه ...

وأحياناً يحس ذلك وقت الخوف . والخوف ليس من الإيمان .

وهكذا يقول المرتل فى خوفه من مؤامرات الأشرار « لماذا يارب تقف بعيداً . لماذا تختفى فى أزمنة الضيق ؟ » (مز ١٠ : ١) .

لذلك يحرص الله أن يعزى أولاده ، و يشعرهم بوجوده معهم فى كل ضيقاتهم . وهكذا قال لعبده يشوع بعد موت موسى :

« كما كنت مع موسى ، أكون معك . لا أهملك ولا أتركك »

تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب . لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب ... لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٥ ، ٩) .

نفس التشجيع ، كان أيضاً من الله لأرمياء الصغير:

« لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك لأنقذك ، يقول الرب »
« يحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك يقول الرب ، لأنقذك »
« هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض » (أر ١ : ٨ ، ١٩ ، ١٨) .

نفس التشجيع الذى كان ليشوع وأرمياء ، كان أيضاً لبولس :
قال الرب لبولس لما قاومه اليهود جداً فى كورنثوس :

« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع١٨: ٩، ١٠) .

إن الشعور بوجود الله مع الإنسان ، يعطيه قوة وثقة .

لهذا فإن مراحم الله وتعزياته تشعر الإنسان بوجود الله معه ، لكى يتعزى و يتقوى ، وتكون له جسارة قلب ، من النعمة ، لمواجهة كل ضيق ، فلا يخاف من أعدائه مهما اعتزوا جداً ...

وفى قصة الثلاثة فتية ، لم يكن الأمر مجرد وعود إلهية . إنما كان الرب معهم فعلاً ، وهم فى أتون النار، فلم تقوعلى ايذائهم ، وسبحوا الله داخل الأتون ...

إن قصة الثلاثة فتية مثال قوى للوجود مع الله .

وقد كانت هذه القصة مصدر عزاء عميق للأجيال ، ونحن نتغنى بها فى التسبحة كل يوم حينما نرتل الابصلمودية ...

وكما أن الثلاثة فتية لم يخافوا النار لشعورهم بأن الله معهم ، كذلك لم يخف دانيال من إلقائه فى جب الأسود ... وكذلك كان المرتل مطمئناً ، حينما قال :

« إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز٢٣ : ٤) .

وبنفس الروح قال « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ؟! ... إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى . وإن قام على قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن » (مز٢٧ : ١، ٢) .

طالما السحابة فوق رأسك ، فأنت لا تخاف حتى إن دخلت فى قلب البحر الأحمر، أو تهت سنوات فى برية سيناء . .

إن الشعور بالوجود فى حضرة الله ، لا يجعل الإنسان يخاف ، مهما كانت الأخطار محدقة . وأيضاً هناك فائدة أخرى :

شعورك بالوجود فى حضرة الله ، يمنحك استحياء فلا تخطىء .

هكذا كان يوسف الصديق ... كان يشعر أنه واقف قدام الله ، والله يراه . فكيف يخطىء ، و يفعل ذلك الشر العظيم قدام الله !! وهكذا شعوره بأنه يتعامل مع الله ، أعطاه إستحياء فى قلبه ، وارتفاعاً عن مستوى الخطية .

حقاً ، إن الإنسان **أثناء إرتكابه للخطية** لا يكون فى حالة شعور بالوجود فى الحضرة الإلهية ... لا يكون الله أمام عينيه ، ولا فى فكره ، ولا فى قلبه ... بل يكون فى حالة إنفصال عنه ، لأنه لا شركة للنور مع الظلمة .

على أنه كثيراً ما يحيط بنا الله وقت الخطية ، لكى ينقذنا منها ، كما يحيط بنا وقت الخطر أو الخوف لينقذنا منها ... ولكننا للأسف قد لانشعر

بيد الله التى تلمسنا لنستيقظ ، أوتلمسنا لنتقوى . ما أعمق قول القديس اوغسطينوس :

كنت يارب معى ، لكننى من فرط شقوتى ، لم اكن معك .

إن وجود الله شىء ، والإحساس بوجوده شىء آخر . .

عدم إدراك وجود الله ...

قد يكون الله مع بعض الناس ، ومع ذلك فهم لا يشعرون بوجوده معهم ، ربما لشىء فى فكرهم ، أو لظروف تحيط بهم ، تعوقهم عن الإحساس بوجود الله وعمله . .

*** مثال ذلك : جدعون ...**

كان الله معه . وقد شهد ملاك الرب بذلك قائلاً له : الرب معك ياجبار البأس (قض٦ : ١٢) . أما جدعون الذى لم يكن يشعر بوجود الله فى حياة الشعب ، فقد ردّ على الملاك قائلاً « اسألك ياسيدى : إن كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ؟ وأين كل عجائبه التى اخبرنا بها آباؤنا ؟ ... » .

كان إيمان جدعون فى بداءته ، يريد أن يلمس بأصابعه ...
ولم يكن يتصور وجود الله ، يتفق مع وجود الضيقات !!

فى منطقه وقتذاك : إما أن يكون الله موجوداً معهم ، وحينئذ لا يمكن أن تصيبهم الضيقات ... ! وإما أن تكون الضيقات الموجودة دليلاً على عدم وجود الله معهم ... !

إنه الإيمان ، بدون الصليب !أو الإيمان الذى يريد الحياة سهلة ! أو الإيمان الذى يضع لله توقيتاً عاجلاً لعمله ، ولا يستطيع أن ينتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز١٣٠) .

*** مثال آخر : المجدلية ، وتلميذا عمواس ...**

المجدلية ظهر لها السيد المسيح بعد قيامته ، فظنته البستانى . وكان معها ولكنها لم تعرف أنه هو. وعلى الرغم من وجوده معها ، كانت لا تزال تفكر أن جسده قد سُرق ، وربما يكون البستانى قد سرقه ، وتسأل : قل لى أين وضعته ؟! (يو٢٠ : ١٤، ١٥) .

وتلميذا عمواس ، ظهر لهما أيضاً السيد المسيح ، وتحدث معهما ، ومع أن قلبهما كان ملتهباً فيهما أثناء حديثه معهما ، ولكن :« أعينهما أمسكت عن معرفته » . ولم يدركا أنه هو، إلا بعد اختفائه عنهما ! (لو٢٤ : ١٦، ٣٢) .

ما أكثر ما يكون الرب معنا ، ونحن لا ندرك !

*** مثال صموئيل النبى :**

تحدث إليه الرب ثلاث مرات فى طفولته ، وهو لا يميز الصوت ،

و يظن أنه صوت عالى الكاهن ، وليس صوت الله !

وفى المرة الرابعة ، لما أجاب « تكلم يارب فإن عبدك سامع ، كان بناء على نصيحة عالى ، وليس لموهبة تمييز (١صم٣ : ٤-١٠) . ولكن صموئيل نما فى الروح ، وصار يشعر بالوجود الإلهى ، ويميز صوت الله ، يتكلم إليه أو على فمه .

*** مثال أبينا إبراهيم :**

زاره الرب مع ملاكين ، ولكنه لم يميز أن هذا هو الرب ، ولم يشعر بالوجود الإلهى ، بدليل قوله له : « ياسيد ، إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة . فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » (تك١٨ : ٣-٥) .

ولو شعر أنه موجود فى حضرة الله وملائكته ، ما كان يحضر كسرة خبز ليسندوا قلوبهم ! ما كان يذبح عجلاً ، ولا يصنع لهم خبز ملة ، ولا يحضر لهم زبداً ولبناً .. !

على أن أبانا إبراهيم أدرك أنه فى حضرة الله فيما بعد ، لما أعلن له الله ذاته .

* مثال اللص الشمال :

كان إلى جوار الرب على الصليب ، ولم يستفد من هذه العشرة الإلهية ، بل كان يجدف عليه . ولم يدرك أنه هو، حتى يقول له مع زميله اللص اليمين « اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك » . بل ظل يستهزأ به . ومات هذا اللص في خطيئته ولم يستطيع أن يقول مع بولس الرسول « مع المسيح صلبت » (غل٢ : ٢٠) لأنه لم يؤمن أنه المسيح . إنه لم يمت مع المسيح كاللص اليمين وإنما مات إلى جواره ، وقلبه بعيد عنه .

* مثال الظلمة لم تدركه :

عاش المسيح وسط أهله وعشيرته ، ولم يدركوا أنه هو. « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » هذا النور الحقيقي أشرق في الظلمة « والظلمة لم تدركه » (يو١ : ٥، ١١) . ومع أنه عاش بينهم ، لم يشعروا بوجوده ، بل قالوا عليه إنه ضال ، ومضل ، وكاسر للسبت ، وناقض للشريعة ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين . ورفضوه وقدموه للصلبُ ...

وحتى أهل قريته لم يؤمنوا به ، وعيروه بأنه إبن النجار، حتى قيل « ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه » !

كل هؤلاء وأمثالهم ، كان الله موجوداً معهم ، ولكنهم لم يتمتعوا بالوجود الإلهي ، ولم ينالوا بركته وفاعليته .

إن الـوجـود مع الله ، ليس مجرد وجود مكانى ، إنما هو وجود قلبي وعاطفي وعملي ، له آثاره ...

*** مثال الشيطان :**

فى قـصة أيوب ، كان الشيطان واقفاً فى الحضرة الإلهية « جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب . وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم » (أى ١ : ٦) . ومرة أخرى « جاء الشيطان أيضاً فى وسطهم ، ليمثل أمام الرب » (أى ٢ : ١) . وكان له شرف الحديث مع الله . ولكنه لم يستفد شيئاً ، ولم يتمتع بالوجود فى حضرة الله ، بل أضاف إلى شره شراً .

وفى التجربة إلى الجبل ، التقى الشيطان بالرب ، وبنفس الأسلوب أضاف إلى شره شراً ، ولم يتمتع بالوجود مع الله .

وأمثلة بعض الخطاة :

قايين وقف أمام الله مرتين : مرة نصحه فيها الرب وأرشده ، ولكنه لم يستفد شيئاً لأن قلبه لم يكن مع الله ، واستسلم للخطية الرابضة . والمرة الثانية وقف فى الحضرة الإلهية ، ولم يتمتع بالوجود الإلهى ، إنما استمع إلى دينونته (تك ٤ : ٦ ، ٩) .

والشاب الغنى تمتع بالحضرة الإلهية إلى لحظات ، ونظر إليه الرب يسوع وأحبه . ولكنه خرج من المقابلة حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة ، ولم يستفد من نصيحة الرب .

وبالمثل أولئك الذين دعاهم الرب للخدمة فاعتذروا.
وبالمثل العبد البطال صاحب الوزنة الواحدة.

ويعوزنا الوقت إن ضربنا أمثلة لأشخاص وجدوا فى حضرة الله ولم يستفيدوا بل أدينوا. لذلك قلنا إنه ليس وجوداً مكانياً هذا الذى نعنيه، بل وجوده فى القلب، فى حب...

إن كانت مأساة، أنك توجد فى حضرة الله، ولا تشعر به فمأساة أكثر أن توجد فى حضرته وتحاربه، وتأخذ دينونته، أو توجد فى حضرته فى لا مبالاة.

كالذين يحضرون إلى الكنيسة، يقفون أمام الله، فى بيته، بتهاون، أو بفكر شارد. أو الذين يتناولون من الأسرار المقدسة، كعادة، بلا عمق، ويخرجون من التناول ليخطئوا كما كانوا...

لذلك كله، نحب أن تكون المشاعر متناسبة مع الوجود الإلهى.

وكم من مرة، تقابل مع الرب الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة وشيوخ الشعب، ولكن قلوبهم لم تكن معه، ونيتهم لم تكن صافية للإستفادة منه، بل أن بعضهم كان يسعى أن يصطاده بكلمة. لذلك كان وجودهم مع الرب دينونة عليهم وليس نفعاً.

كذلك الفريسى الذى استضافه فى بيته وليس فى قلبه، وكان يرقب والمرأة الخاطئة تسكب دموعها على قدميه، ويدينه فى فكره. ولم يستفد من الوجود فى حضرة الله.

مشاعر تناسب الوجود مع الله ...

١ ـ ينبغي أولاً أن يكون لنا الإيمان بوجود الله معنا .

الإيمان بوعوده ، والإيمان بمحبته ، والإيمان بعمله .

ولا يجوز لنا أن نقيس وجود الله معنا بالراحة في العالم . فالمشاكل والضيقات ليست علامات للتخلي ، وليست دليلاً على عدم وجود الله معك . الله يسمح بها ، لتأخذ ما فيها من بركة ، ومن أكاليل ، ومن فوائد روحية . وهي تصيبك لكي تظهر معدنك الطيب كما حدث لأيوب ، ولكي تأخذ منها خبرة في الحياة . وأيضاً لكي تتزكى ، ولكي تقويك وتصقلك .

إن أسعد أوقات اللص اليمين ، كانت وهو مصلوب مع المسيح .

كن إذن شديداً في الضيقة . لا تجعل الضيقة تحطمك ، إنما حطمها أنت بإيمانك . إن الزجاجة إذا وقعت على صخرة ، لا تتحطم الصخرة ، وإنما تتحطم الزجاجة . كن إذن صخرة ...

٢ ـ لا تعتبر وجود الله في حياتك مؤقتاً ، بل دائماً .

إن المسيح لم يكن مع تلاميذه خلال الأربعين يوماً فقط ، وإنما « كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» ...

إن كان معهم في الأربعين يوماً بطريقة منظورة ، فقد كان معهم كل الأيام بطريقة غير منظورة . وكانوا يؤمنون بهذا . بل أن بولس الرسول يقول

« لكى أحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ » (غل ٢ : ٢٠) . إذن كان يؤمن أن المسيح ليس فقط معه ، وهو بالأكثر فيه ...

لذلك إن حوربت بأن الله ليس معك ، قل لنفسك : كلا ، إنه معى ، ولكننى أنا الذى لا أدرك وجوده ، كما حدث مع المجدلية ... العيب إذن فينا ، وليس فى عدم وجوده .

٣ - لذلك ينبغى أن تكون حواسك الروحية مدربة وإن لم تدرك وجوده مباشرة ، فستدرك ذلك بالتدريج .

المجدلية لم تدرك وجوده ، وظنته البستانى . ولكن الرب عمل فيها ، فشعرت به أخيراً ، وقالت له « رابونى » أى يامعلم .

والمولود أعمى ظن أنه إنسان بار ، ثم نبى . ولما حدثه الرب عن إبن الله ، سأل : من هو لأؤمن به ، إذ لم يكن إلى تلك الساعة يعرفه . على أنه عرفه أخيراً وآمن وسجد له (يو ٩ : ٣٥-٣٨) .

السامرية أيضاً عرفته أيضاً بالتدريج وليس من أول وهلة .

والتلاميذ ظنوه أولاً خيالاً أو روحاً ، ثم آمنوا أخيراً (لو ٢٤ : ٣٧) . ولم يؤمنوا فقط ، بل نشروا الإيمان فى كل مكان . وقالوا عنه : الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا (١يو ١ : ١، ٣) .

لا تتضايق إذن إن كان إدراكك ضعيفاً لوجود الله فى حياتك . إنما عليك أن تصلى وتقول [أعن يارب ضعف إيمانى] وثق أن قوته فى الضعف تكمل (٢ كو١٢ : ٩) .

ملاحظة أخرى هامة جداً أقولها لك ، وهى :

٤ ـ لا يكفى أن يكون الله معك ، إنما يجب بالأكثر أن تكون أنت أيضاً معه ... لك معه شركة .

وليتك تأخذ درساً من ملائكة الكنائس السبع فى آسيا لم يكن الرب فقط معهم ، وإنما كان أيضاً ممسكاً بهم ، وكانوا فى يمينه (رؤ٢ : ١) . وعلى الرغم من هذا يقول الرب لملاك كنيسة أفسس « عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى . فاذكر من أين سقطت وتب ... وإلا فإنى آتيك عن قريب ، وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » (رؤ٢ : ٤ ، ٥) ... عجيب أنه فى يمين الله ، وقد سقط ، ويحتاج إلى توبة ... !

وأخطر من هذا ملاك كنيسة لاودكية الذى يقول له الرب « أنا عارف أعمالك أنك لست حاراً ولا بارداً ... هكذا أنا مزمع أن أتقيأك من فمى . لأنك تقول إنى أنا غنى ... ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان ... فكن غيوراً وتب » (رؤ٣ : ١٥ : ١٩) .

وأخطر من هذين ملاك كنيسة ساردس ، الذى يقول له الرب : إن لك إسماً إنك حى وأنت ميت (رؤ٣ : ١) ... ومع ذلك كان فى يمين الله ، الرب ممسك به .

إذن لا يكفى بأن يكون الله معك ، إنما كن أنت أيضاً معه ، بكل القلب والفكر والحواس والإرادة .

٥ ـ ولتكن لك المشاعر اللائقة بالوجود فى حضرة الله .

ولعل منها الخشوع . فإن يشوع النبى لما أحس أنه أمام رئيس جند الرب ، يقول الكتاب « فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد . وقال له : بماذا يكلم سيدى عبده » (يش ٥ : ١٥) . وخلع نعله من رجليه ، لأن المكان الذى كان واقفاً فيه مقدس .

وهكذا فعل موسى النبى أيضاً ، حينما ظهر له الرب وكلمه فى العليقة التى لا تشتعل (خر ٣ : ٥) .

وكما يليق الخشوع بالوجود مع الله ، كذلك يليق البر.

لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو ٦ : ١٤) .

و يليق بالوجود مع الله الفرح ، فقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) . كذلك تليق مشاعر أخرى كثيرة من الحب والسلام ... وغيرها .

وسنتكلم عن هذا كله بالتفصيل فى المحاضرات المقبلة إن شاء الله .

غير إننى أود أن أختم بملاحظة هامة وهى أن فترة الوجود مع الله هى فترة حب ، تليق بها سر ية العلاقة الشخصية .

مشاعر تحفظ فى سرية ...

أربعين يوماً قضاها المسيح مع تلاميذه ، ومع ذلك لم يسجل الكتاب ما دار فى هذه الأيام من مشاعر ومن أحاديث ، إنما جملها سفر أعمال الرسل فى عبارة بسيطة . أما الأناجيل فأشارت بالأكثر إلى شكوك التلاميذ وضعفاتهم وكيف عالجها الرب . ولم تذكر لنا حتى تفاصيل يوم واحد من الأربعين يوماً ...

هنا وأتعجب من الذين يقفون أمام الناس ليحكوا اختباراتهم !!

أين اختباراتكم هذه من اختبارات آبائنا الرسل ، الذين لم يسجلوا منها شيئاً ، ولم يذكروا سوى ضعفاتهم وشكوكهم ...

إن حياة الحب والعشرة مع الله ، هى قدس أقدس ، يليق بها الصمت . والحديث عنها تعليم غير كتابى ...

مريم أخت لعازر ، إختارت النصيب الأفضل ، وجلست عند قدمى المسيح ، تتأمله ، وتستمع إليه ، ولكنها لم تذكر شيئاً من كل هذا ، ولا سجل الكتاب شيئاً منه ... إنه قدس أقداس .

وموسى النبى قضى مع الرب أربعين يوماً على الجبل ، دون أن يحكى ماذا قال له الرب فيها ، وما أعماق تلك العشرة . .

واخنوخ الذى لم يمت ، سجلت حياته كلها فى عبارة واحدة تقريباً هى « وسار اخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢٤) . ولم يشرح الكتاب كيف سار اخنوخ مع الرب ، ولا اخنوخ تحدث عن هذا إنه قدس أقداس .

وبولس الرسول صعد إلى السماء الثالثة ، ولكنه لما نزل ما قص علينا شيئاً مما رآه ،بل قال إنه « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها » (٢ كو ١٢ : ٤) .

لماذا يا معلمنا بولس العظيم لا تحكى لنا اختباراتك ، كما يحكى أبناء اليوم ؟! مبارك هو صمتك . إنه أيضاً قدس أقداس .

بل أكثر من هذا مريم العذراء ، فى كل عشرتها مع المسيح ، لعلنا نقول : ليتها حكت لنا تلك الثلاثين سنة التى عاشها المسيح قبل خدمته الجهارية ، تلك التى ختم عليها بالصمت ... لقد صمتت العذراء . وكانت تحفظ كل هذه الأمور متأملة بها فى قلبها (لو ٢ : ٥١) .

إن الصمت وليس الكلام ، هو الذى يليق بالروحيات والحب الإلهى والعشرة مع الله ، مثلها صمت التاريخ عن تأملات القديس الأنبا بولا السائح خلال ثمانين عاماً فى الوحدة .

هكذا صمت التلاميذ عن الأربعين يوماً . وما حدثهم المسيح عنه من الأمور المختصة بملكوت الله ، ظهر فى حياتهم وممارساتهم ، ووصل إلينا بالتقليد ، أكثر مما وصل بالكلام .

ولعلك تقول : لماذا لم يتكلم هؤلاء جميعاً ، لنتعلم من حياتهم ؟ أقول لك : عش مثلهم ، وأنت تعرف حينئذ ما أخفوه .

إجلس عند قدمى المسيح ، مثلما جلست مريم ، وحينئذ سيقول لك ما قاله لها ، أو ما يناسبك من أحاديث أخرى ...

وإن أحببت المسيح ، كما أحبه الرسل ، وتركوا كل شيء وتبعوه ، فحينئذ سيحدثك مثلهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، ليس فقط على مدى أربعين يوماً ، وإنما طول الحياة .

إفتح قلبك لله ، وهو يملؤه حباً . وافتح ذهنك له ، وهو يضع فيه أجمل الأحاديث . عش معه بكلياتك ، يفض عليك من مواهبه ونعمه وقوته ، وحينئذ تقول مع داود فى المزمور :

« إنى اسمع ما يتكلم به الرب الإله » .

أما إن أردت أن يحدثك الرب وأن يعطيك ، لكى تشرح للآخرين وتحكى ، فإنك تكون قد خرجت من سرية الحب ، وبدلاً من المخدع المغلق صرت تبوق قدامك بالبوق .

أما إن احتفظت بقدسية العلاقة وسريتها ، فإن الرب يقول عنك « أختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) .

القيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة يوم الجمعة ١/٥/١٩٧٠ م .

[٢]
أوقات الإحساس بالوجود مع الله

« حقاً إن الرب فى هذا المكان ،
وأنا لم أعلم » .
(تك ٢٨ : ١٦)

ما هى أوقات الإحساس بوجود الله ؟

متى تشعر النفس بأن الله موجود معها ؟

فى الحقيقة ، من ضمن الأوقات الأساسية التى نحس فيها بوجود الله معنا :

١ ـ أوقات الضيق والتعب :

وقت الضيق ، هو وقت الإحتياج إلى الله ـ وفيه تشعر بوجود الله ، أكثر مما تشعر فى وقت الراحة أو المتعة . تشعر فى الضيقة بيد الله كيف تتدخل وتعمل وتنقذ ...

يعقوب أبو الآباء ، بدأت خبراته الروحية فى وقت الضيقة .

لم نسمع له عن خبرات روحية ولا مناظر ولا رؤى فى بيت أبيه ، ولا صراع مع الله ، ولا وعود إلهية ، ولا تغيير لإسمه ...

ولكن لما قال عيسو « أقوم وأقتل يعقوب أخى » (تك ٢٧ : ٤١) وهرب يعقوب من وجه أخيه هنا بدأ يشعر بوجود الله فى حياته ... وفى هروبه وضيقته رأى السلم الواصلة بين السماء والأرض ، ورأى الملائكة صاعدة ونازلة عليها ، وسمع صوت الله يقول له « ها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك٢٨ : ١٠-١٥) . وبدأت ليعقوب سلسلة من الخبرات الروحية فى الحياة مع الله ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى يوسف الصديق :

لم يدخل فى العشرة الإلهية كما ينبغى ، وهوإبن مدلل فى بيت أبيه ، له قميص ملون ، وأحلام جميلة ، تثير حسد أخوته وغيرتهم ... ولكن لما ألقى فى البئر، ولما بيع كعبد ، بدأ يختبر يد الله معه ، كيف ينجح طرقه ، وكيف يعز يه حتى وهوفى السجن ، وكيف يمنحه موهبة تفسير الأحلام ، ويمنحه نعمة فى عينى حافظ السجن والمسجونين ، بل يمنحه نعمة فى عينى فرعون نفسه « والله أراد به خيراً » (تك٥٠ : ٢٠) .

أفضل أيامه الروحية ، كانت وهوفى الضيقة . أما لما صار وز يراً ، فلم نسمع عنه حينئذ رؤى أو أحلام ، بل كان رجل إدارة وسلطة . ولم تكن إرادة الرب مكشوفة له وقت مباركة إبنيه افرايم ومنسى ، كما كانت مكشوفة لأبيه يعقوب الذى عاش فى الضيق (تك٤٨ :١٧-١٩) .

و يونان النبي كانت أعمق روحياته وهوفى بطن الحوت .

حينما كان طليقاً ، كان معانداً للأمر الإلهى ، متمسكاً برأيه . أما حينما ابتلعه الحوت ، وجازت فوقه التيارات واللجج ، حينئذ صرخ من جوف الهاو ية ، فسمع الرب صوته . لما أعيت فيه نفسه ، صلى يونان إلى الرب وهوفى جوف الحوت ، وقال « حين أعيت فىّ نفسى ، ذكرت الرب ، فجاءت إليك صلاتى ... بصوت الحمد أذبح لك ، واوفى بما نذرته » (يون٢ : ١، ٧، ٩) .

وأمثلة لأنبياء وأبرار كثيرين :

الثلاثة فتية تمتعوا بوجود الله معهم ، وهم فى أتون النار. ودانيال النبى شعر بعمل الله لأجله وهوفى جب الأسود .

وبطرس الرسول لمس يد الله معه وهوفى السجن (أع ١٢ : ٦ ، ٧) وكذلك القديس بولس أيضاً (أع١٦ : ٢٥، ٢٦) . ويوحنا لم يبصر تلك الرؤيا العظيمة ، إلا وهوفى الضيقة ، منفياً فى جزيرة بطمس (رؤ١ : ٩، ١٠) .

وتلاميذ الرب أبصروا يده معهم ، لما اضطربت السفينة وهاجت الريح ، فأتاهم فى الهزيع الأخير من الليل ، وانتهر الرياح .

حقاً ، حينما لا توجد حلول بشرية ، نبصر يد الرب تعمل .

أحياناً ، لما يرتفع الإنسان فى مركزه ، يختفى عمل الله من قاموسه . ومن الجائز أن تجد فى هذا القاموس كلمات الشهرة والمال والعظمة والمركز، أما كلمة الله فتكون عزيزة .

ولكن حينما تحل الضيقة تتعلق عيناه بالرب إلهه.
وهكذا كان بنو إسرائيل فى تاريخهم القديم .

فى فترات المتعة ، كانوا ينسون الرب ، بل كثيراً ما عبدوا الأصنام . فلما كان الرب يدفعهم إلى أيدى أعدائهم ، فيذلونهم ، كانوا حينئذ

يصرخون إلى الرب ، فيرسل لهم من عنده من يخلصهم ، كما يشرح لنا سفر القضاء . بل ما أعمق قول المرتل فى هذه الخبرة « املأ وجوههم خزياً ، فيطلبون وجهك يارب » .

ربما فى قوتنا ، نعتمد على قوتنا . وفى الشدة نختبر الرب .

يقول الرب « ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى » .
إن اختبار عبور البحر الأحمر ، كان فى وقت الشدة .
كذلك ضرب الصخرة التى فجرت ماء ، وكذلك السحابة المظللة .

إن أرملة صرفة صيدا ، لم تختبر الوجود مع الله وعشرته ، إلا فى وقت المجاعة ، وحينما مات إبنها . هنا ظهر الله فى حياتها . وبالمثل المرأة الشونمية لما مات ابنها أيضاً ...

اننا نتمتع بوجود الله فى وقت الضيقة ... ونحس وجوده ، ونطلب وجوده ونلمس جوده ... وكذلك نتمتع بوجوده الإلهى فى أوقات الصلاة والتأمل والعبادة .



٢ ـ أوقات الصلاة والتأمل ...

الأوقات الروحية مناسبة جداً للشعور بالوجود فى حضرة الله . وهكذا ما كان يحسه آباؤنا القديسون فى خلواتهم ووحدتهم . لذلك كانوا يتركون ضجيج العالم إلى البرارى ، حيث ينفردون بالله . و يشعرون بأنهم وجدوه هناك ، وأحسوه فى صلواتهم وتأملاتهم .

رؤ يا يوحنا ورؤ يا بولس :

فى سفر الرؤ يا ، القديس يوحنا الحبيب ، لم يجد الله فى الضيقة فقط ، إنما يقول « كنت فى الروح فى يوم الرب » (رؤ١ : ١٠) . كان فى حالة روحية ، ملتصقاً بروح الله ، مرتفعاً بقلبه إليه ، فى يوم مقدس . وفى هذا الجو الروحى ، رأى السماء مفتوحة ، وأبصر عرس الله ، والقوات السمائية تسبحه.القديس بولس الرسول أيضاً ، يعطينا نفس الصورة أيضاً فى صعوده إلى السماء الثالثة . كان هو أيضاً فى حالة روحية وصفها بقوله « أفى الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم ، الله يعلم » (٢ كو١٢ : ٢، ٣) .

إن الانسان يحس وجود الله فى الأوساط الروحية ، عندما يلتصق قلبه بالله ، وتتلامس روحه مع الله .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص ، كان أثناء خدمته للقداس الإلهى ، يبصر الروح القدس على هيئة حمامة . وأحياناً كان الرب يعلن له من هو مستحقاً للتناول ومن هو غير مستحق ...

وكثير من الآباء الكهنة ، أثناء القداسات ، يكونون فى حالة روحية غير عادية ، يشعرون أثناءها بالوجود الفعلى مع الله .

هنا جو روحى خاص : من جهة الإستعداد لهذه الخدمة المقدسة ، والإستعداد للتناول ، وهيبة الهيكل والمذبح والذبيحة ، وجو البخور والصلوات ، والقيام الفعلى أمام الله . كل ذلك يعطى شعوراً خاصاً يندر وجوده فى أوقات أخرى ...

لذلك أنا أعجب من الذين يطلبون أن يسجل لهم أحد الأباء الكهنة قطعة من القداس فى وقت يختارونه .

إنه حينئذ سيسجل لحناً ، ولا يقدم نفس الروح شتان بين تسجيله اللحن فى أى وقت ، وتسجيله فى وقت القداس الإلهى ، فى جو روحى خاص ، وفى حالة روحية خاصة ! وفى شعور بالوجود أمام الله ، بتأثير الذبيحة المقدسة ...

بنفس المنطق أيضاً ، نقول إن هناك فرقاً جوهرياً بين أن تسمع القداس الإلهى ، وأنت فى الكنيسة تعد نفسك للتناول ، وأن تسمعه فى بيتك من الاذاعة أو من جهاز تسجيل ...

فى وقت الصلاة والتأمل ، يشعر الإنسان بالله يملأ قلبه ، و يشعر بأن الله يحيط به ، كما يشعر أنه واقف أمام الله يكلمه . أنظروا كيف أن المسيح يقول « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى

وسطهم » . هذا الشعور بأن الله فى وسطنا ، هو شعور روحى يشعر به الإنسان فى وقت الصلاة .

و يشعر أيضاً بأن الملائكة حوله ، و بأن أرواح القديسين أيضاً تحيط به ، بأن روحاً عميقاً فى داخله يعطيه ما يقوله ...

لهذا كانت لاجتماعات الصلاة قوتها وتأثيرها ، ولهذا كانت لليالى الصلاة وسهراتها فاعلية عميقة داخل النفس وقوة غير عادية ...

نتذكر أن تلاميذ الرب فيما كانوا يخدمون الرب و يصلون ، كلمهم الروح القدس ، وقال لهم : افرزوا لى برنابا وشاول (أع١٣ : ٢) .

وفى أحدى المرات وهم يصلون ، تزعزع المكان من قوة الصلاة ، أو من الوجود الإلهى أثناء الصلاة ، وامتلأ المشتركون فى الصلاة من الروح القدس (أع٤ : ٣١) .

الصلاة جعلت الرب يحل بمجده فى المكان فشعر المصلون بوجود الله ، و بأن السحابة قد استقرت على الخيمة .

هنا يشعر الإنسان بالعزاء ، و بالفرح والسلام ، و يشعر بلذة البقاء فى الصلاة ، وأنه يود لو كانت الصلاة لا تنتهى ...

وكما قال أحد الآباء عن الصلاة : ومن فرط حلاوة الكلمة فى أفواههم ، ما كانوا يريدون أن ينتقلوا منها إلى كلمة أخرى فى صلواتهم .

الذى يشعر بلذة الصلاة ، و بوجود الله معه فى الصلاة ، لا يحب أن ينتقل من جو الصلاة إلى أى جو آخر بعيد عنها . ولو انتهت صلاته ، قد يظل واقفاً ، ولو صامتاً ، يعز عليه أن ينزع نفسه من هذا الجو الروحى ... ولو يقول عبارة واحدة : لا أريد يارب أن أتركك إلى عمل آخر . ولا أريد أن أختم الحديث معك ، لكى أتحدث مع أحد سواك ...

من هنا كانت الصلاة الدائمة . ليست كعمل تعصبى أو مجرد تدريب ، إنما رغبة فى البقاء مع الله أطول وقت ...

هناك أوقات كثيرة تشعر فيها بالوجود مع الله ، ولكن وقت الصلاة والتأمل هو أعمقها وأقواها ...

وماذا أيضاً يشعرك بالوجود فى حضرة الله .

٣ - الأماكن المقدسة ...

إن جو الكنيسة والأماكن المقدسة ، يشعرك بالوجود مع الله ، أكثر من شعورك فى أى مكان آخر...

ولهذا نجد إنساناً روحياً مثل داود النبى ، يستطيع أن يكون روحياً فى أى مكان و يتمتع بالله ... إلا أنه مع ذلك يقول « مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات . تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب . قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى » . « مذابحك أيها الرب إله القوات ملكى وإلهى . طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد » (مز٨٣) .

و يقول « واحدة طلبت من الرب وإياها التمس ، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى نعيم الرب وأتفرس فى هيكله » (مز٢٦) .

وهكذا يترنم المرتل بالجبل المقدس ، ومدينة الله ، و يقول « أساساته فى الجبال المقدسة . أحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » « أعمال مجيدة قد قيلت عنكِ يا مدينة الله » (مز٨٦) « ههنا موضع راحتى إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى اشتهيته » (مز١٣١) « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز٩٢) « رفعت عينى إلى الجبال ، من حيث يأتى عونى » (مز١٢٠) .

إن زيارة لمكان مقدس ، لدير ، لمغارة قديس ، لكنيسة قديمة ، قد تكون لها تأثيرات روحية عميقة داخل النفس .

تشعر الإنسان بوجود الله فى هذا المكان ، كما قال أبونا يعقوب عن بيت إيل « إن الله فى هذا المكان » (تك٢٨) .

ولهذا يحدث أحياناً كلما أحس الإنسان باحتياجه إلى دفعة روحية قوية ، يقوم بزيارة لمكان مقدس ، ترجع إليه الشعور بوجود الله معه ، أو بوجوده أمام الله ، فيلتهب قلبه ، لمجرد نظر البناء ، أو لمجرد نظر أيقونة معينة لها تأثير فى النفس ، أو لمجرد تذكر أن قديساً معيناً عاش مع الله فى هذا المكان ...

أو قد يلجأ الإنسان إلى أية واسطة روحية تشعل محبة الله فى قلبه ، وتشعره بهذا الوجود الإلهى داخل القلب ...

وإن اجتمع تأثير المكان ، وتأثير العمل الروحى معاً ، فإن هذا يكون أنفع جداً ... بل هناك أمكنة تدفع الإنسان دفعاً إلى الصلاة ، أو تعطية عمقاً خاصاً فى صلواته ، أو فى تراتيله وألحانه ، أو فى تأملاته وقراءاته ...

على أن الوجود فى الحضرة الإلهية ، قد لا يأتى سببه منا ، وإنما من زيارة النعمة لنا ، فى وقت لا نعلمه ، أو لا نتوقعه ، أو لم نعد أنفسنا له ...

٤ ـ وقت لا نعلمه ...

حقاً ، كما قال الرب فى الإنجيل المقدس «إن ملكوت الله لا يأتى بمراقبة» (لو١٧ : ٢٠) .

الروح يهب حيث يشاء .

نحن لا نعلم متى يتحدث الله إلينا ، متى يعلن لنا ذاته ، متى تزورنا نعمته ، متى نجد أنفسنا أمام الله ...

إنما فى وقت لا نعلمه ، يعمل الله فى قلوبنا من حيث لا ندرى ، و يشعرنا بوجوده . وهكذا فعل مع القديسين .

فى وقت ما كان يتوقعه موسى النبى ، وبطريقة لم تخطر له على بال ، كلمه الله من النار المشتعلة فى العليقة ، وأعلن له ذاته ، وأرسله ليخلص الشعب ... (خر٣) .

وفى وقت ما ، كلم الله أبانا إبرام ، ودعاه للحياة معه (تك ١٢) . وجد ابرام نفسه أمام الله ، دون أن يسعى إلى ذلك ، ودون أن يخطر له هذا على بال . وتكرر الأمر فى حياته مرات ... إن ملكوت الله لا يأتى بمراقبة .

كذلك صموئيل النبى وهو طفل ، ما كان ينتظر مطلقاً ، أن يكون له حديث مع الله ، أو أن يختاره لرسالة معينة أو لنبوة ، ولكنه وجد نفسه أمام الله فى وقت لا يعلمه ولا يتوقعه ...

وبنفس الأسلوب ، شاول الطرسوسى فى طريق دمشق ، وجد نفسه أمام النور، وأمام دعوة ، وأمام عتاب ، وأمام المسيح شخصياً . وصار رسولاً من حيث لا يدرى ، بل وفى عكس الطريق الذى انتهجه لنفسه .

فى وقت غير معروف ، تفتقد النعمة قلب إنسان ، فتشعله . كما هو مطلوب منه ، أن يتجاوب و يستغل الفرصة .

أنت لا تدرى متى يطرق الله على بابك . كل ما تدريه أنك أن سمعت صوته لا تقسى قلبك ، بل تفتح بابك مباشرة ، وتقول له فى حب : تعال أيها الرب يسوع .

مشكلة عذراء النشيد ، إنها لم تفتح للرب ، حينما أتاها طافراً على الجبال وقافزاً على التلال ، ولا حينما مدّ يده من الكوة ، فأنت عليه أحشاؤها . لذلك قالت فى ألم شديد : « حبيبى تحول وعبر. نفسى خرجت حينما أدبر. طلبته فما وجدته . دعوته فما أجابنى » (نش ٥ : ٢-٦) .

فى فترات زيارة النعمة ، يشعر الإنسان بوجود الله معه . يشعر بحرارة غير عادية ، وإقتراب قلبه إلى إلهه ، وبحب عجيب للرب وملكوته ، وبرغبة فى الصلاة ، وعمق فى التأمل ، كما يشعر بسيطرته على فكره وتوجيهه توجيهاً روحياً .

إن رأيت هذا فى نفسك ، فتذكر قول الرسول « لا تطفئوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) . وإن لم تكن فى هذه الحالة الروحية ، فلا تحاول أن ترقبها متى تجىء . إنما يكفى أن تقول فى مزاميرك « مستعد قلبى يالله ، مستعد قلبى » (مز ٥٦) .

وباستمرار كلما وجدت فى داخلك إشتياقاً روحياً ، حاول أن تلهبه بالأكثر. إن وجدت فى داخلك رغبة فى التوبة أو فى الاعتراف ، فلا تتوان ولا تؤجل . وإن وجدت رغبة ملحة أن تصلى ، فلا تتكاسل . وإن وجدت نفسك قد تأثرت بعظة أو صلاة أو لحن أو ترتيلة ، فلا تجعل هذا التأثر يضيع بلا ثمر. إستفد من وجود الله معك ، لنموك الروحى .

واحترس من أن يكبر قلبك خلال زيارات النعمة .

وجودك فى حضرة الله ، يناسبه التواضع بالأكثر، وانسحاق القلب ، والشعور بعدم الإستحقاق ، فبهذا يمكن أن يعطيك الرب أكثر فأكثر، لأنه يعطى المتواضعين نعمة (يع ٤ : ٦) .

وكلما تجد نفسك مع الله ، قل : إنه من أجل إحتياجى سمح الرب أن يفتقدنى بنعمته ، وليس ذلك بسبب إستحقاقى .

إنه ليس بجهدنا نكون مع الرب ، إنما بحنانه وجوده .

من أجل محبته لبنى البشر ، من أجل عدم مشيئته أن يموت الخاطىء . من أجل رعايته وعنايته وأبوته ، يفتقدنا بوجوده معنا ، حتى دون طلب منا ، كما فعل مع تلميذى عمواس ومع شاول الطرسوسى .

تبارك الرب فى عظم محبته . له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .



القيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى ، مساء يوم الجمعة ١٥/٥/١٩٧٠م .

[٣]

شهوة الوجود مع الله

الوجود مع الله : شهوة

دعوة للآخرين

فرح بالأبدية

شهوة الوجود مع الله ...

الوجود مع الله شهوة فى القلب النقى .

الإنسان الروحى يشتاق أن يوجد باستمرار مع الله لذلك نجد داود النبى يقول « كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه ، كذلك إشتاقت نفسى إليك يا الله ، عطشت نفسى إلى الله ، إلى الإله الحى . متى أجىء وأتراءى قدام الله » (مز٤٢ : ١ ، ٢) « يا الله ، أنت إلهى ، إليك أبكر. عطشت نفسى إليك ... باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كأنها من شحم ودسم » (مز٦٢) « إليك يارب رفعت نفسى ... إياك انتظرت النهار كله » (مز٢٤) « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب التمس . لا تحجب وجهك عنى » (مز٢٦) « التحقت نفسى وراءك » (مز٦٢) أى جرت وراءك .

وكما يشتاق المرتل إلى الله ، يشتاق إلى كل ما يتعلق به ، إسمه ، بيته ، وصاياه ...

يقول « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٨) ونقول فى الابصلمودية « إسمك حلو ومبارك ، فى أفواه قديسيك » .

وعن كلام الرب يقول « وجدت كلامك كالشهد فأكلته » « كلماتك حلوة فى حلقى . أحلى من العسل والشهد فى فمى » (مز١١٨) .

وعن بيت الرب يقول « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢١ : ١) « تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب » (مز ٨٣ : ٢) « واحدة طلبت من الرب وإياها التمس ، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى ، لكى أنظر إلى نعيم الرب ، وأتفرس فى هيكله » (مز ٢٦) .

الإنسان الذى يحب الله ، يشتاق أن يكون معه فى كل حين ، ناموسه هو درسه ، وصاياه هى تلاوته ، محبته هي الغذاء التى تتغذى به الروح ، و يتغذى به الفكر...

أما الذى يضجر بسرعة ، إن جلس مع الله ، و يدركه السأم والملل إن طال به الوقت فى الصلاة ، أوفى الكنيسة ، أوفى قراءة الكتاب أو التأمل الروحي ، فهذا إنسان جاف فى قلبه ، بعيد عن حياة الروح ...

بعكس هذا ، الإنسان الروحى ، الذى يمتلىء قلبه بمحبة الله ، فإنه ليس فقط يشتاق إلى الله ، وإنما يدعو الآخرين أيضاً ...

دعوة الآخرين ...

إنه يدعو الكل إلى عشرة الله ، و يقول لهم ما قاله المرتل فى المزمور « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٣) .

المرأة السامرية ، لما تمتعت قليلاً بالوجود مع المسيح ، ذهبت تبشر به فى كل المدينة ، وتدعو الناس قائلة « تعالوا وانظروا إنساناً قال لى كل ما

فعلت » (يو٤ : ٢٩) ... لقد ارادت لهم أن يذوقوا ما قد ذاقته من حلاوة الوجود معه ، ولذة الحديث معه ، وجمال عشرته ، وحلو حديثه .

وهنا الفرق بين المحبة الروحية ، والمحبة الدنيوية ... محبة العالم ، هى محبة أنانية ، تريد أن يكون ما تحبه لها وحدها . أما المحبة الروحية ، محبة الله وعشرته ، فإنها تشرق على الجالسين فى الظلمة ، وتريد أن يشاركها الكل فى حبها ، وفى الله الذى تتمتع به . لا تريده لها وحدها ، إنما للكل ...

لما فيلبس تعرف على المسيح ، قال لنثنائيل « وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس ، والذى كتب عنه الأنبياء » (يو١ : ٤٥) . ولما ذاق يوحنا الرسول حلاوة العشرة مع المسيح ، كتب فى رسالته الأولى « إن الحياة أُظهرت ، ونشهد ونخبركم ... الذى رأيناه وسمعنا نخبركم به ، لكى تكون لكم أيضاً شركة معنا ... لكى يكون فرحكم كاملاً » (١يو١ : ٢-٤) .

كل من يمتلىء بمحبة الله ، تراه يفيض من هذا الحب على الآخرين ويدعوهم لمشاركته ... وماذا أيضاً ؟

الذى يحب الله ، يحب الأبدية . وليس فقط يحب الله على الأرض ، إنما يحبه أيضاً هناك فى العالم الآخر.

وإذا بمحبة الوجود مع الله ، تتحول إلى فرح بالأبدية .

فرح بالأبدية ...

إن سمعان الشيخ ، لما حمل المسيح على يده ، وفرح بهذا الخلاص ، صرخ من عمق قلبه قائلاً « الآن يارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ... » (لو٢ : ٢٨-٣٠) .

الذين يحبون عشرة الرب حقاً ، و يرون ما فى العالم من عوائق المادة والجسد ، يشتاقون أن ينطلقوا من هذا الجسد ، لكى تكون لهم فرصة أوسع فى عشرة الله ، ولكى يكونوا فى كل حين مع الرب (١تس ٤ : ١٧) . وهكذا نرى القديس بولس الرسول يقول « لى اشتهاء أن أنطلق ، وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) . إذن شهوة الإنطلاق هنا ، هدفها هو الوجود مع الله ، فذاك أفضل جداً ...

إن الذى يشعر بلذة الوجود مع الله ، لا يهمه الموت ، بل على العكس يرى أن الموت هو جسر ذهبى جميل ، يوصل إلى حياة أفضل ، إلى الفردوس ، إلى النعيم ، إلى الوجود مع الآب كل حين ، إلى التخلص من الحياة فى المادة وما تسببه من معوقات . لذلك يكون تفكيره فى اورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس ، تفكيراً له أعماقه العاطفية فى القلب ...

إن اسطفانوس أول الشمامسة ، لما اقترب من الموت ، اعنى لما اقترب من الإنتقال إلى عشرة الله الدائمة ، كان فرحاً ومتهللاً . و يقول عنه الكتاب فى تلك اللحظات إنهم شخصوا إليه « ورأوا وجهه كوجه ملاك »

(أع٦: ١٥). أما هو فشخص إلى السماء، وهو ممتلىء من الروح القدس، فرأى مجد الله ... وقال « ها أنا أنظر السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (أع٧: ٥٥، ٥٦) ... وبهذا الفرح انتقل إلى الوجود الدائم مع الله، حيث لا مؤامرات، ولا حنق أعداء، ولا رجم ...

لا شك أن الذين يحزنهم الموت والإنتقال إلى الرب، لم يتيقنوا من لذة الحياة مع الله، والوجود في عشرته المحببة إلى النفس. أو أن البعض يخافون الموت، لأنه يحرمهم من الحياة في الجسد وفي المادة ومع الناس ...

في القرنين الثاني والثالث للميلاد، حيث كانت أشواق المؤمنين متعلقة في عمق بالملكوت، كانوا يسعون إلى الموت سعياً من أجل الله، وكانوا يحبون الإستشهاد. بل أن العلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس، وضع كل منهما كتاباً عنوانه « حث على الاستشهاد ». فهذا الاستشهاد سيوصلهم إلى الوجود الدائم مع الله ...

تحول الإستشهاد في تلك العصور إلى شهوة، لأنه يحمل في طياته شهوة أعمق، هي الوجود الدائم مع الله، حيث يتغنون مع القديس بولس قائلين « ونكون كل حين مع الرب ».

هذه الشهوة المقدسة، نزعت من قلوبهم الخوف من الموت. فكانوا ينشدون تلك الانشودة الجميلة: « إن عشنا، فللرب نعيش. وإن متنا، فللرب نموت. إن عشنا أو متنا، فللرب نحن » (رو١٤: ٨).

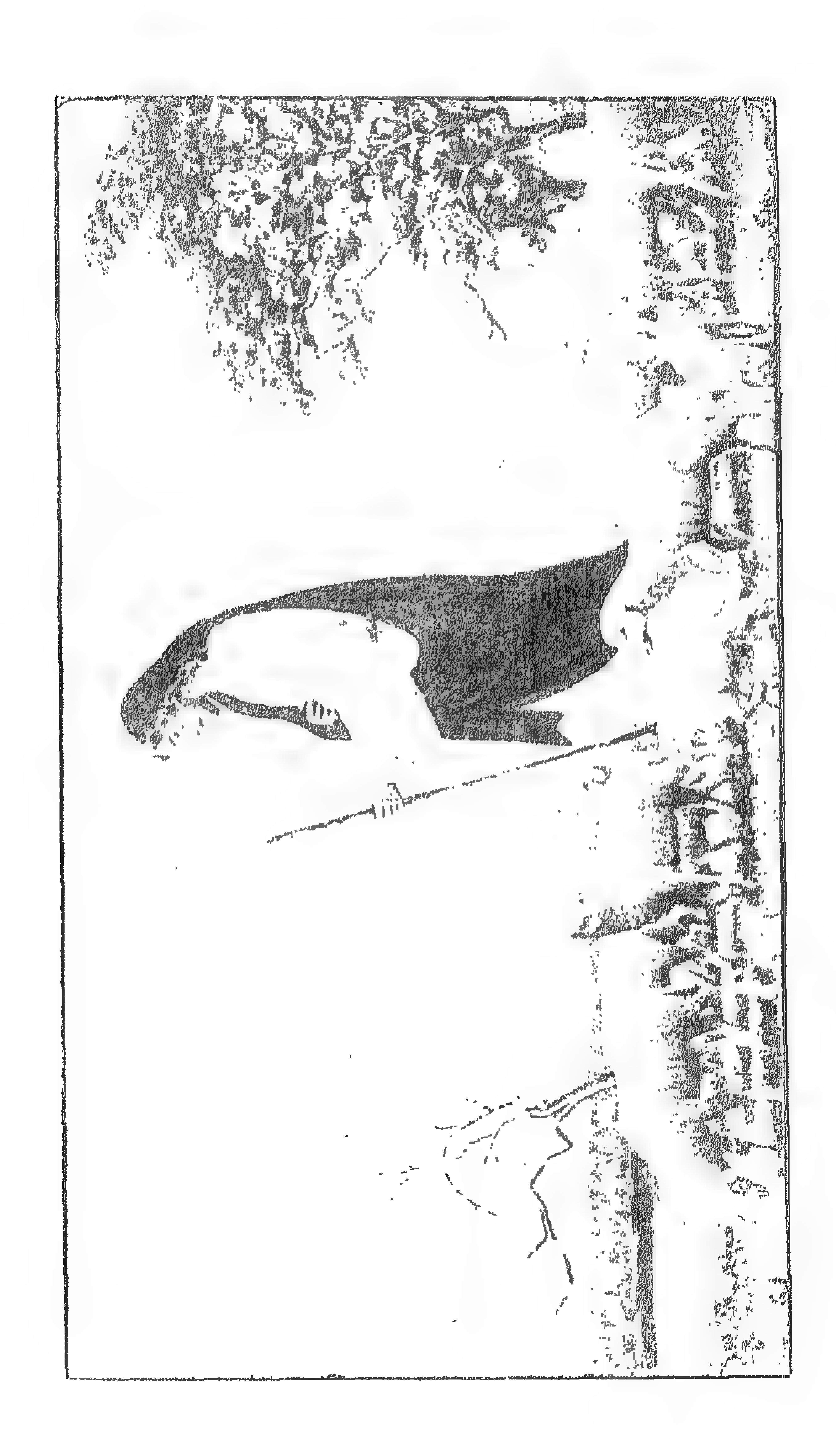
هؤلاء لا تهمهم سوى عشرة الله ، سواء هنا أو هناك .

فى السماء ، يكونون كل حين مع الرب . وعلى الأرض أيضاً يشعرون أنهم مع الله فى كل مكان . كيانهم كله معه ..

هوذا داود النبى يقول « تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا اتزعزع » (مز١٦ : ٨) . الرب أمامه ، والرب عن يمينه ، يحيط به من كل ناحية . فما تأثير هذه عليه إذن . يقول بعد ذلك مباشرة « من أجل هذا فرح قلبى وتهلل لسانى . وأيضاً جسدى يسكن على الرجاء » « عرفتنى سبل الحياة . تملأنى فرحاً مع وجهك » ...

إنه يشعر بوجود الله معه ، هنا وفى الأبدية ، لذلك يقول أيضاً « إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز٢٢) . ما أجمل شعور المؤمن بأن الله معه ، حتى فى وادى ظل الموت ...

لذلك يرتل هؤلاء المؤمنون ترتيلة « حيث قادنى أسير » . لا يهم أن يقود الله النفس ، لكن المهم أن تكون معه حيثما قادها . ومادامت معه ، تشعر بالسعادة والثقة والإطمئنان .



[٤]

طبيعة العلاقة مع الله

لكى نفهم الوجود مع الله ، ينبغى أن نفهم أولاً ما هو الله بالنسبة إلينا ؟ ... و بالتالى ما هى طبيعة العلاقة معه ؟ ... وهنا نفهم حالة الوجود مع الله ...

إن الله لا يشاء أن يكون مجرد سيد يحكم عبيداً ، ولا يشاء أن يكون خوف العبيد وطاعتهم هو أساس العلاقة التى تربط البشرية به . لذلك قال فى وضوح :

« لا أعود أسميكم عبيداً ... بل أحباء » (يو١٥ : ١٥) .

وفى هذا الحب ، ودرجته وعمقه ، قيل عنه إنه « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣ : ١) . بل إن هذا الحب كان هو السبب المباشر للتجسد والفداء ، لأنه « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو٣ : ١٦) .

وفى محبة الله لنا ، دعانا أبناء له ...

و يتغنى القديس يوحنا الرسول بهذه الحقيقة فيقول « أنظروا أية محبة أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله » (١يو٣ : ١) . وأصبحنا حينما نصلى ، نوجه صلواتنا إلى هذا الآب السماوى ، ونقول له « يا أبانا الذى فى السموات » .

حتى جاء السيد المسيح ، فأظهرها بجلاء ووضوح . أنظروا كيف أن الله يعاتب البشر فى العهد القديم فيقول « ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا علىّ » (أش ١ : ٢) . وكأب فى العهد القديم ، يخاطب الإنسان بعبارة « يا إبنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . وقد أدرك أشعياء النبى أبوة الله ، فقال له « تطلع من السماء ، وانظر من مسكن قدسك ، فإنك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) . وقال أيضاً « والآن يارب أنت أبونا ... وكلنا عمل يديك » (أش ٦٤ : ٨) ... والأمثلة كثيرة ...

إذن فنحن حينما نتواجد مع الله ، نتواجد مع أب يحبنا ...

ونقضى الوقت معه ، كما يسلك الأبناء مع أبيهم المحب لهم ، بنفس الدالة التى للأبناء . ومن الناحية الأخرى ، حينما نخطىء ، نشعر ليس مجرد شعور العبيد الذين يخافون العقوبة ، بل بالأكثر شعور الأبناء الذين يؤلمهم ويحزنهم أنهم جرحوا قلب أبيهم المحب ، وتباعدوا عنه بالمعصية ، فيسرعون لمصالحته ، ليوجدوا فى كل حين معه ...

وماذا أيضاً ؟ هل نحن مجرد أبناء وأحباء ؟ كلا ، بل هناك ما هو أكثر :

من محبة الله ، دعا النفس التى تحبه عروساً له ...

هذا واضح تماماً فى العهد القديم ، فى سفر نشيد الأناشيد ... وفى

العهد الجديد يتكلم يوحنا المعمدان عن الكنيسة كلها كعروس للمسيح ، و يقول عنه وعنها « من له العروس فهو العريس » (يو٣: ٢٦) . وفى المجيء الثانى ، شبه الرب كل النفوس التى تحبه بخمس عذارى حكيمات ، أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس (مت ٢٥) . و يقول بولس الرسول عن كرازته « خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢كو ١١ : ٢) ، وشرح فى الرسالة إلى أفسس ، كيف أحب المسيح الكنيسة كعروس له ، وكيف قدسها وطهرها وأسلم نفسه لأجلها ، وقال عن وحدة المسيح بالكنيسة « هذا السر عظيم » (أف ٥ : ٢٢-٣٢) .

إذن نحن أبناء وأحباء ، وعروس للرب ، وماذا أيضاً ؟

أقول بالأكثر : إنه ونحن كيان واحد ، كالرأس والجسد ...

حقاً ، هذا السر عظيم ! إن الرب لم يفصلنا عنه . فنحن جسده وهو رأسنا . المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣) ، ورأس كل رجل هو المسيح (١كو ١١ : ٣) وأجسادنا هى أعضاء المسيح (١كو ٦ : ١٥) . ونحن « أعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) . إننى أقف هنا مذهولاً أمام هذه العبارات العجيبة ، التى أراد بها الوحى الإلهى توضيح علاقتنا بالمسيح و وحدتنا معه ...

وقد وضح الرب هذه الوحدة ، بعلاقة أخرى غير الرأس والجسد ، فقال :

« إثبتوا فىّ ، وأنا فيكم ... أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو١٥) .

الكرمة والأغصان ، كيان واحد ... كالرأس والجسد...

والغصن لا حياة له ، إلا بالثبات فى الكرمة . وهكذا قال الرب « كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته ، إن لم يثبت فى الكرمة ، كذلك أنتم إن لم تثبتوا فىّ... الذى يثبت فىّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير» (يو١٥ : ٤ ، ٥) .

إذن أكثر من الوجود فى الله ، الثبات فى الله ...

نثبت فى الله ، كما يثبت الغصن فى الكرمة ، تسرى فيه عصارة الكرمة ، وتعطيه حياة... وإن لم تسر فيه عصارة الكرمة ، يجف ويموت ...

ولكن كيف نحصل على هذا الثبوت فى الله ؟

لقد قدم لنا الرب أربع وسائط للثبوت فيه :

* فقال « من يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت فىّ وأنا فيه » (يو٦ : ٥٦) .

* وقال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى « من اعترف أن يسوع هو ابن الله ، فالله يثبت فيه ، وهو فى الله » (١يو٤ : ١٥) . وهنا قدم الإيمان كواسطة للثبوت فى الله .

* وقال أيضاً « الله محبة . ومن يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه » (١يو٤ : ١٦)

* وأيضاً « من يحفظ وصاياه ، يثبت فيه ، وهو فيه »
(١يو٣: ٢٤)

إذن هناك وسائط للثبوت فى الله ، هى : الإيمان ، والمحبة ، والتناول من جسده ودمه ، وحفظ وصاياه .

فهل حرصت على هذه الوسائط الأربع ؟ وهل شعرت فيها بالثبوت فى الله ؟ هل شعرت فيها بوجود الله فيك ؟ هذا إن كنت قد مارستها كما ينبغى ...

هل رأيتم علاقة فى قوة هذا الثبوت المتبادل ؟

ثبوت كالجسد فى الرأس ، وكالغصن فى الكرمة ... فيه الحياة ، ولا حياة بدونه ... وماذا أيضاً ؟ لعلنى أتجرأ وأقول ، فى خشية واتضاع قلب :

الوجود مع الله ، هو الوجود فى الله ...
أو هو وجود الله فينا ...

وجود الله فينا ، كقول السيد الرب للآب « أنا فيهم ، وأنت فىّ ، ليكونوا فى مكملين إلى واحد » (يو١٧ : ٢٣) وقوله أيضاً « وعرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » (يو١٧ : ٢٦) .. وقول بولس الرسول « لكى أحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ » (غل ٢ : ٢٠) .

هل يوجد مجد أكثر من هذا ؟! أو هل توجد متعة روحية أعمق من

هذا ؟! أن يؤدى وجودك مع الله إلى وجوده هو فيك... على أننا نلاحظ هنا أن الأمر لا يقتصر على السيد المسيح فقط ، وإنما :

كما يكون المسيح فيك ، يكون أيضاً الآب والروح القدس :

أما عن روح الله فيك ، فيقول الرسول « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم » (١ كو٣ : ١٦) . « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم » (١ كو٦ : ١٩) ... حقاً إن هذا السر عظيم .

أما عن الآب فيقول السيد المسيح « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، وإليه نأتى ، وعنده نصنع منزلاً » أى الآب والإبن معاً (يو١١ : ٢٣) .

هذا عن وجود الله فيك . فماذا عن وجودك فيه ؟...

يقول بولس الرسول « ... لكى أربح المسيح ، وأوجد فيه » (فى ٣ : ٨، ٩) . و يوحنا الرسول يقول « بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو٢ : ٥) .

والسيد المسيح يجمل هذا الوجود المتبادل فى قوله « فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فىّ ، وأنا فيكم » (يو١٤ : ٢٠) . و يؤكد هذا المعنى أيضاً قوله « إثبتوا فىّ ، وأنا فيكم » (يو١٥ : ٤) .

ولكنى لا أزال حائراً أمام عبارة « إثبتوا فىّ ، وأنا فيكم » . ما معناها ؟ ما كنه هذا الثبوت ؟ قطعاً لا يمكن أن نثبت فى جوهره ، وإلا

صرنا آلهة ... ! وما نحن سوى تراب ورماد ... على أن الرب يجيب فى نفس الأصحاح فيقول :

نعم ، بالحب نثبت فيه ، و بالحب يثبت هو فى قلوبنا ... ألم يقل الرسول « الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه » ...

إنه الحب المبنى على الإيمان ، كما قال القديس بولس « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم ، وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة » (أف ٣ : ١٧، ١٨) .

إذن نحن بالحب ، وفى الحب ، نشعر بالوجود فى الله ...

لا نشعر فقط بوجود الله معنا ، أو وجودنا معه ، وإنما نشعر أيضاً ـ فى محبتنا له ـ بوجوده فينا ، ووجودنا نحن فيه . نشعر أننا أعضاء فى جسده ، وأننا ثابتون فيه كثبوت الغصن فى الكرمة ، ثبوتاً نأخذ به حياة ، ونضارة ، ونصنع به ثمراً ...

فهل أنت كذلك ، تشعر أن حب الله يسرى فيك ، و يعطيك حياة ، لها متعة روحية خاصة ، غير الحياة التى لهذا العالم ؟ وهل تشعر أن هذا الحب الإلهى يغذيك و يقويك ، و يثبتك فيه ، و يشبع نفسك تماماً ... ؟

فى الحب ، نشعر بالوجود مع الله ...
وفى الوجود مع الله نشعر بالحب . وبماذا أيضاً ؟

لعله من المناسب ، أن تكون لهذا الموضوع محاضرة خاصة .

[٥]

مشاعر الوجود مع الله

مشاعر الحب

مشاعر الفرح

مشاعر السلام

مشاعر كثيرة

ما أعمق المشاعر التى تنبع من الوجود مع الله ... وما أكثرها . مجرد الأحساس بالوجود مع الله ، يجعل النفس ترتفع إلى فوق ، فى مستوى أعلى من هذا العالم ، وأسمى من الماديات .

وتصبح كل مشاعرها روحية ... فى عمق ...

ينجذب القلب إلى الله ، و يلتصق به فى حب ، و يرى أن سعادته كلها فى البقاء هكذا . و يغنى مع داود « أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب » (مز٧٣ : ٢٨) .

و يود أن يبقى هكذا ، لا يفارقه ، ولا ينفصل عنه ...

يفرح أنه وجد الله ، فتتعلق به نفسه ، و يقول مع عذراء النشيد « أمسكته ولم أرخه » (نش٣ : ٤) . و يود أن تدوم حياته فى هذا اللقاء مع الله والإحساس بوجوده . وتصبح كل الرغبات الأخرى تافهة فى عينيه ، لا تستطيع أن تفصله عن هذه المتعة الروحية التى يجدها مع الرب ، فيصيح من أعماقه ، مع بولس الرسول :

من سيفصلنا عن محبة المسيح ... ؟! (رو٨ : ٣٥ - ٣٩)

« ... لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن

تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع » ... أتستطيع أن تقول هكذا ، ولا تسمح لشيء أن يفصلك عن الوجود مع الله ؟

يروى فى قصص القديسين عن أحد الآباء الرهبان ، أنه كان سائراً فى البرية ، مستغرقاً فى صلاته بكل قلبه وعواطفه ، فأتى ملاكان وأحاطا به من هنا وهناك . ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يترك صلاته و ينظر إلى أى منهما ، بل استمر فى صلواته وتأملاته وهو يقول « من يفصلنى عن محبة المسيح ؟ لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة » ...

إن مشاعر الوجود مع الله ، مشاعر لا ينطق بها ...
تحسها ، وإن أردت أن تصفها ، لا تستطيع ... تصل أحياناً إلى مرحلة يبهر فيها الإنسان و يذهل ... فإن استيقظ يشعر بفرح يغمره ، و يشعر بميل إلى الصمت ، لا يريد أن يخرج من إحساساته الداخلية إلى مستوى الحديث مع الناس ...

وكعينة من هذه المشاعر ، سنتكلم عن ثلاثة منها :
هى مشاعر الحب ، والفرح ، والسلام . وكلها من ثمار الروح القدس ، الذى يسكن قلب الإنسان ، و يشعر الإنسان بسكناه وثماره فى أوقات الوجود مع الله ...



مشاعر الحب ...
فى حضرة الله

مشاعر الحب
فى حضرة الله

يكفيك أيها الأخ المبارك أن تتقابل مع المسيح ، تتحدث إليه ، تستمع إليه . تكوِّن علاقة معه و تجد فيه كل كفايتك ولا يعوزك معه شيء ... تعطيه قلبك . وحينئذ تشعر بتفاهة العالم كله ، وتسعد بمحبة الله .

هذا هو الوجود مع الله ، حب فى حب ، قلب بشرى يتلامس مع الله ...

قلب محدود . يتلامس مع القلب غير المحدود . وحب بسيط ، يتقابل مع حب لانهائى . نحن فى حياتنا مع الله ، مثل الجدول البسيط الذى يسير حتى يلتقى بالبحر ، و يصب فيه ، ويختلط بمياهه التى لا تنتهى . نحن قطرة ماء . تسخن بحرارة الحب ، وتتبخر فترتفع ، لكى تنزل إلى أعماق النهر الكبير ... حياتنا مع الله حياة حب .

العشرة مع الله ، هى عشرة الحب ...

إنها ليست مجرد نظام روحى ، أو جدول روحى تضعه لنفسك فى الصلاة والقراءة والتأمل والإجتماعات والمطانيات ... كل هذا حسن وجميل . ولكن هل هو نابع عن حب ؟ هل فيه اشتياق إلى الله ، وعشرة

مع الله ؟ هل علاقتك بالله هى علاقة حب ؟ هل تشتاق إليه كما يشتاق الغصن إلى عصير الكرمة يسرى فى خلاياه ؟ أم كل جداولك الروحية رسميات بلا عاطفة ؟!

هل أنت تشعر بوجود الله فى حياتك ، وجوداً يلهب قلبك بالحب ، فتتقد عاطفتك نحو الله باستمرار... ؟

هل فى وجودك مع الله ، وقت صلاتك ، وقت تأملاتك ، وقت إحساسك بيده تمسكك وتوجهك ، أو وقت إحساسك بيده تربت على كتفك فى حنو، هل فى هذه الأوقات تشعر بمحبة إلهية تملأ قلبك ، وتشبعك ، وتلهف عواطفك الروحية ، فلا تعد محتاجاً إلى أية محبة أخرى إلى جوارها ؟

هل فى صلواتك لهجة الحب ، وأسلوب الحب ؟ وهل إذا صليت لا تريد أن تنتهى من الصلاة ، لأن المحبة تجذبك إلى البقاء فى حضرة الله ؟

هل قلبك المحب للمسيح ، مملوء بالفرح لأنك قد وجدته ؟

هل وجودك مع الله ، أصبح حياة ، وليس فترات ؟

أى أنه من شدة محبتك لله ، ورغبتك فى أن توجد معه باستمرار ، إزدادت فترات وجودك معه ، وظلت تنمو ، حتى أصبحت تحس بوجودك فى حضرة الله كل حين ، وليس لفترات محدودة تأتى وتنتهى ... وهكذا تقول مع معلمنا داود « تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ... » .

إن الـذى يحب الله ، ويحب أن يـوجـد دواماً معه ، لا يكون الله بالنسبة إليه هو إله مناسبات ... !

الله ، ليس هو الإله الذى يجده الإنسان فى الكنيسة فقط ، فإن فارقها فارقه ! وليس هو الإله الذى يجده فى الكتاب المقدس ، فإن أغلق هذا الكتاب إنتهت علاقته به ! وليس هو فقط الإله الذى لا يجده إلا فى الصلاة والتأمل والتراتيل ، و بعدها لا يحس بوجوده ... !

إنما هو الإله الذى يحس وجوده معه فى كل مكان ، وفى كل وقت ، وفى كل عمل ... هو فى حياته على الدوام . وهنا نسأل : من يكون المسيح بالنسبة إلى حياتنا ؟

إن المسيح ليس غريباً عنا ... إنه فينا :

ليس هو مجرد شخصية تاريخية ، قرأنا عنها فى الإنجيل ، فعرفنا قصة تجسده وصلبه وقيامته وصعوده إلى السموات ... بل المسيح حتّى بيننا ، معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، حسب وعده الصادق (مت٢٨ : ٢٠) . إنه الممسك السبعة الكواكب فى يمينه (أى جميع الرعاة) ، الماشى فى وسط السبع المناير الذهبية (رؤ٢ : ١) أى الموجود فى وسط الكنائس كلها ...

حقاً إننا نشعر بوجوده معنا فى صلواتنا ، حسبما قال « حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » (مت١٨ : ٢٠) . ولكن وجوده معنا لا يقتصر على أوقات الصلاة فقط ...

وجوده فى حياتنا ، أعمق من هذا وأشمل ...

ما أروع تلك العبارة التى قيلت عن معموديتنا ، التى فيها متنا مع المسيح ، وقمنا مع المسيح ... وليس هذا فقط ، بل يقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) ... وأمام عبارة « لبستم المسيح » اقف مبهوراً ، أحاول أن اتشرب المعنى على مهل ، بالروح لا بالعقل ...

وفى حياتنا الروحية ، إن كنا قد صولحنا مع الله بموته عنا ، فإننا ونحن الآن مصالحون « نخلص بحياته » (رو ٥ : ١٠) أى بحياته فينا ، حيث كل حين « يقودنا فى موكب نصرته » (٢ كو ٢ : ١٤) . فنحن لا نعمل شيئاً من ذواتنا ، بل هو العامل فينا . أليس هو القائل « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) .

إذن نحن لا نستطيع أن نفصل حياتنا عن المسيح .

حياتنا الروحية ما هى إلاّ « رائحة المسيح الذكية » (٢ كو ٢ : ١٥)

ونحن فى حياة الحب معه ، وحياة الوجود معه ، نحاول أن تكون لنا معه وحدة فى الفكر ، وفى المشيئة ، وفى العمل ... وبهذا ندخل فى حياة شركة معه .

فالوجود مع الله ، يعنى أيضاً الشركة معه .

هذه الشركة التى قال عنها معلمنا يوحنا الرسول « وأما شركتنا نحن ،

فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح » (١ يو١ : ٣) . ومعلمنا بولس الرسول يذكر أيضاً « شركة الروح القدس » (٢ كو١٣ : ١٤) . أما معلمنا بطرس الرسول ، فيدمج كل هذا معاً فى عبارة واحدة هى « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ...

حقاً ما أعجب الوجود مع الله ، وما أعجب مواهبه ! ونحن طبعاً لا نشترك مع الطبيعة الإلهية فى الجوهر ، أى فى الألوهية ، وإلاَّ صرنا إلهة ؟ فماذا إذن ؟

إنها شركة مع الطبيعة الإلهية ، فى الفكر والعمل .

من جهة الفكر ، يعبر بولس الرسول فى عمق وإيجاز فيقول « أما نحن فلنا فكر المسيح » (١ كو٢ : ١٦) . أما عن العمل ، فيقول عن نفسه وعن زميله أبولس « نحن عاملان مع الله » (١ كو٣ : ٩) . ونحن نصلى فى أوشية المسافرين فنقول للرب « إشترك فى العمل مع عبيدك ، فى كل عمل صالح » .

والشركة فى العمل ، تحتاج أيضاً إلى شركة فى المشيئة ، حيث نقول للرب فى كل صلاة « لتكن مشيئتك » . وتشمل من معناها « لتكن مشيئتك هى مشيئتنا . ولتكن مشيئتنا هى مشيئتك » .

ففى الوجود مع الله ، تتحد مشيئة الله والإنسان .

و يقبل الإنسان مشيئة الله فى حب ، وفى رضى ، وفى فرح . وفى

شركة هذه المشيئة ، وفى شركة العمل والفكر ، يحيا فى بر دائم . لأن الله هو النور الحقيقى « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢ كو٦ : ١٤) . وهكذا كل من يتمتع بالوجود مع الله ، يحيا فى النور ، و يصير من أبناء النور ، لأنه « إن قلنا أن لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١يو١ : ٦) .

إذن الوجود مع الله ، هو الوجود فى البر .

وجودك مع الله ، يطهرك من كل خطية ، و يثبتك فى الحق ، والحق يحررك . وتشعر وأنت موجود مع الله بمحبة كاملة لكل ما هو طاهر ومقدس .

لذلك فأنت تحب الرب لأجل أنه منحك هذا الإنعتاق من أسر الخطية ، وجعل الحياة الروحية سهلة عليك ، كما تحبه من أجل أنه الخلاص العظيم الذى قدمه لك وللعالم كله .

تحبه لأنك وجدته ، ولأنه تنازل ليكون معك .

ومع أنه مرتفع عن السموات ، فإنه يجد لذته فى بنى البشر ، ويحب أن يكون معنا ، و يعمل فينا و بنا . يكلمنا ونكلمه ، يحوطنا بعمل رعايته فى حب وإشفاق...

نحبه ، لأنه هو الذى يبحث عنا ، حتى إن ضللنا عنه ، يأتى بنا إليه ، حاملاً إيانا على منكبيه فرحاً ، هذا الذى أحبنا قبلاً ، واشفق علينا حتى

ونحن فى عمق خطايانا .

نحب هذا القدوس ، الذى منح نعمة الوجود معه حتى للخطاة والعشارين ، وحضر ولائمهم ، وتعشى فى بيت زكا ، وسمح للمرأة الخاطئة أن تلمس قدميه وتقبلهما ، تلك التى إشمئز من وجودها الفريسى...

نحب هذا الكامل ، الذى سمح بالوجود معه للمجدلية التى كان عليها سبع شياطين ، فخلصها منهم ، وجعلها من خاصته ، ونعمت بالوجود معه حتى وهو على الصليب .

إن أسعد أوقاتنا فى الحياة ، هى أوقات الوجود معه .

حتى لو كنا مصلوبين معه كاللص اليمين ، أو لو كنا نتألم معه كبولس ، يكفى أننا معه . أما أتعس أوقاتنا فهى هى نحس الحرمان معه . لذلك نحرص أن نكون معه كل حين ، لا فى علاقة رسمية ، إنما فى مشاعر الحب ، التى بها إتكأ يوحنا على صدره ، والتى بها سكبت الخاطئة دموعها على قدميه ، لأنها أحبت كثيراً .

من أجل الوجود معه ، عاش آباؤنا فى البرارى .

وكما نقول فى القسمة فى القداس الإلهى « سكنوا الجبال والبرارى وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . من أجل متعة الوجود معه ، تركوا الأهل والمال ، وعاشوا فى وحدة كاملة ، ليتمتعوا فيها

بحبه ، منفردين معه فى البرية القفرة ، جاعلين شعارهم « الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد » .

ومن أجل حبه والوجود معه ، ترك آباؤنا الرسل كل شيء وتبعوه ، وقالوا له « إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو٦ : ٦٨) .

إنها نفوس هائمة ، ليس فى قلوبها سوى محبة المسيح .

إن المسيحية فيها الكثير من المبادىء والقيم ، والفضائل السامية جداً ، والعقائد الروحية السليمة العميقة . ولكن أجمل ما فى المسيحية هو شخص المسيح نفسه .

حتى أن الأبدية بكل أفراحها ، لا تعتبر نعيماً بدون المسيح . المسيح هو فرحها الكامل ، وهو نعيمها الحقيقى .

والوجود مع المسيح فى الأبدية ، هو النعيم الأبدى .

إنه هو الذى علمنا الحب ، وهو الذى ربطنا مع الله برباط الحب ، ونزع كل خوف من قلوبنا ، ولم تعد وصايا الله مجرد أوامر ، إنما هى مجرد تعبير عن الحب ، كما يقول « من يحبنى يحفظ وصاياى » (يو١٤ : ١٥ ، ٢١) .

الذى يحب الرب ، يحب الوجود معه ، والذى يوجد معه يحبه ... ويشعر بفرح لا ينطق به لوجوده مع الله .



مشاعر الفرح ...
بالوجود فى حضرة الله

مشاعر الفرح
بالوجود فى حضرة الله

حياتنا مع الله ، هى حياة فرح به ، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب .
الذين يعيشون مع الرب ، يفرحون لأنهم وجدوه ، و يفرحون لأنهم عرفوه ، و يفرحون لأنهم صادقوه وأحبوه ، ولأنهم ذاقوا ونظروا ما أطيب الرب ...
حتى فى الآلام التى تحيط بهم ، هم يفرحون فى الرب على الدوام . قال الرسول :

إفرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا (فى ٤ : ٤)

تسأله : وأنت يابولس ، هل تفرح بالرب كل حين ؟ فيقول نعم . وتسأل : وماذا عن السجون والضيقات والآلام والضعفات التى تحتملها كل وقت ؟ فيلخص الموضوع فى عبارة واحدة هى « كحزانى ، ونحن دائماً فرحون » (٢ كو ٦ : ١٠) . أمام الناس ، فى ظروفنا الخارجية ، فى ضيقاتنا الكثيرة ، نبدو كحزانى . أما فى الداخل . فنحن فرحون .

أولاد الله ، يفرحون على جبل الجلجثة ، كما على جبل التجلى .

يفرحون وهم فى أتون النار ، كالثلاثة الفتية الذين كانوا يسبحون الله داخل الأتون ، لأن سبب فرحهم كان هو إحساسهم بوجود الله معهم ، فكانوا فرحين به ...

يفرحون ، وهم داخل البحر الأحمر ، يحيط بهم الماء من هنا وهناك ، يحيط بهم ، ولكن لا يغطيهم ولا يطغى عليهم . المهم أنهم فرحون بخلاص الرب ، و بيد الرب معهم ... تماماً مثلما كان بولس وسيلا فرحين فى السجن الداخلى ، وأرجلهم مضبوطة فى المقطرة ، وهما يسبحان الله بصوت مسموع (أع ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) ، شاعرين بوجود الله معهما ...

كان بطرس فى السجن . وكان الله معه فى السجن . لذلك استطاع أن ينام نوماً ثقيلاً ، بينما كان هيرودس مزمعاً أن يقتله ! (أع ١٢ : ٦) . من يستطيع أن ينام فى مثل هذه الظروف ؟! ولكن بطرس لم يفقد سلامه ولا فرحه بالرب . وكأن لسان حاله يقول : « إن كانت لى صداقة بإله هيرودس ، فإن هيرودس سوف لا يضرنى بشىء » ...

الشعور بوجود الله ، يملأ القلب فرحاً ، و ينسيه آلامه ...

أحد القديسين ، علقوه على خشبة وصلبوه . فمن فوق صليبه ، كان يعظ الناس ، و يدعوهم إلى الإيمان بالمسيح . وحدث فى إحدى المرات أن ثلاثين ألفاً خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية ، لينالوا إكليل الشهادة ، وهم يسبحون الله فى الطريق ، و يغنون الأغانى الروحية ، فرحاً بالرب ، لشعورهم بوجوده معهم ...

وهكذا فعل القديس أبا فام الجندى ، حينما لبس أفخر ثيابه ، وامتطى جواده وذهب لمقابلة أريانوس ، ليستشهد على يديه ، قائلاً « هذا يوم عرسى » .

إذن إفرحوا بالرب كل حين ، كما فرح القديسون بالرب ، فى كل ظروفهم وأحوالهم .

ولكن ما أسباب فرح القديسين بالرب ؟

إنهم فرحون بصحبته له ، و بعشرتهم له ، فرحون بالتجديد الذى أخذوه فى المسيحية ، بهذه الحياة الجديدة الثابتة فى الرب ، إذ وجدوا « الأشياء العتيقة قد مضت ، وهوذا الكل قد صار جديداً » . إنهم فرحون بالحب الإلهى الذى لمس قلوبهم ، فطهرهم من كل شر ومن كل شبه شر . إنهم - فى تمتعهم بالوجود الإلهى - فرحون بعمل الروح القدس فيهم ، فرحون بنعمة الله التى لا تفارقهم .

إنه كما يقول الرسول « فرح لا ينطق به ومجيد » (١بط ١ : ٨) . إنه فرح النفس بالرب ، فرح لما وجدوه ، باعوا كل شيء واشتروه ... **إنه فرح روحانى ، يختلف عن كل أفراح العالم ...**

فرح بملكوت الله داخل النفس ... قد يعجب العالم له : كيف تفرحون ، وأنتم بعيدون عن كل شهوات العالم وملاذه وترفيهاته ومتعه ، بعيداً عن مباهج المادة ، ولذة الحواس ؟ ... إن الفرح بالرب هو أعمق ... لا يستطيع العالم أن يفرحه .

إنه فرح من الداخل ، لا يعتمد على أسباب خارجية ...

أهل العالم يحصلون على أفراحهم من مصادر خارج نفوسهم ... أسباب

تختص بالمادة ، أو إكرام الناس ، أو ما يجذب الحواس ، أو بأسباب تتعلق بالأسرة أو بالمركز أو بالجاه والغنى ... أما أولاد الله ، فيفرحون من الداخل ، بسكنى الله فى قلوبهم ، وإحساسهم بوجوده معهم ، فى داخلهم .

يشعرون بيده فى حياتهم ، فيفرحون باستلامه لهذه الحياة وتدبيره لها . يحسون بتعزيات الروح داخلهم فيفرحون . يشعرون بالله يعمل فى قلوبهم ، و يغرس فيها مشاعر مقدسة ، و يغسلها فتبيض أكثر من الثلج ، فيفرحون . يحسون أنهم فى حالة روحية ، لا يستطيعون التعبير عنها ، و يكفيهم أنهم يتمتعون بها ...

حتى فى مشاكلهم ، يشعرون بأنهم فرحون بالرب ...

فرحون بالرب الذى يرونه أثناء المشاكل ، يتدخل ، و يعطى عزاء وصبراً وطمأنينة وسلاماً ، و يعطى حلولاً ما كانت تخطر على فكر إنسان ، لها طابعها الخاص الذى يقنع النفس أنها من عند الله ... يفرحون بالرب الذى لا يتركهم وحدهم ، وإنما يحسون وجوده معهم .

فى داخل البرية القفرة ، فى مبتاهة سيناء ، يرون الله ... يرسل سحابته تظللهم وترشدهم نهاراً ، و يرسل عمود النور يضيء لهم ليلاً ... إنه معهم ، يرون وجوده فى تابوت عهده ، كما يرونه فى الصخرة التى تفجر ماء ، وفى المن ينزله من السماء ، وفى صوته يتحدث من فوق الجبل ... كل ذلك فى متاهة القفر...

إن أولاد الله ، دائماً فرحون ... فرحون بوجوده معهم ...

حالة واحدة تحزن الإنسان الروحى ، وهى الإنفصال عن الله .

والإنسان الروحى لا يشعر بالإنفصال عن الله ، فهو معه فى كل حين . ولكن هذا الإنفصال يشعر به إن سقط فى الخطية . فالخطية هى انفصال عن الله ، و بالتالى هى انفصال عن كل فرح ... وهكذا إن سقط إنسان روحى ، لضعف ، أو لخديعة العدو ، أو لأى سبب ، فإنه يسرع بالقيام والرجوع إلى الله .

حتى فى سقوطه ، يشعر بالله يناديه ، و يساعده على القيام ...

ولولا وجود الله معه ، ما قام . إنه هو الذى ينضح عليه بزوفاه فيطهر ، و يتوبه فيتوب ، بل يبحث عنه كيما يجده . وكما يقول فى سفر حزقيال النبى « أنا أرعى غنمى وأربضها ... وأطلب الضال ، وأسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح » (حز٣٤: ١٥ ، ١٦) .

فماذا إن شعر البعض أن الله بعيد وليس معهم ؟

يفرحون بالله الذى سيأتى ، ولو فى الهزيع الأخير ...

إن لم تفرح بوجوده الآن ، إفرح بوجوده الآتى « هوذا آت طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال » (نش ٢ : ٨) . إنه على الباب يقرع . فلنفتح له ، ونتمتع بوجوده ، يكشف لنا ذاته ، و يكشف لنا محبته ، و يفتح لنا قلبه ، و يشعرنا برعايته واهتمامه ...

إننا تراب ورماد . ومع ذلك يشعرنا باهتمامه ...

عجيب هذا الإله المحب ، الذى يعطى أهمية لخليقته بهذا المقدار ! « يقيم المسكين من التراب ، و يرفع البائس من المزبلة ، ليجلسه مع رؤساء شعبه » (مز١١٣ : ٧، ٨) . هذا الكائن غير المحدود ، الإله العظيم وحده ، ينظر من علوه المقدس إلى المتواضعات على الأرض ... ! حتى إن كان درهم واحد مفقوداً ، يهتم به ، و يبحث عنه إلى أن يجده ، فيفرح به ، و يدعو الجميع ليفرحوا معه ، و يشعره بوجوده فى حضرة الله المحب ...

الله موجود معك ، فى البر وفى السقوط ...

إنه موجود معك ، حينما يعطيك القوة أن تمشى معه فوق الماء ، مثلما فعل مع بطرس ، وأحس هذا القديس بوجوده مع الله .

وحينما يضعف إيمانك ، وتسقط فى الماء ، مثل بطرس أيضاً ، تشعر بوجود الله ، الذى يجذبك من الماء ، لتمشى معه مرة أخرى ... فوق الماء .

لذلك نحن نفرح بالرب كل حين ، لأنه موجود معنا فى كل حين ، سواء كنا نحن معه أو لم نكن ، شعرنا بوجوده أو لم نشعر...

إنه موجود فى حياتنا . ونحن نفرح بوجوده فيها ...

ونصلى باستمرار أن نشعر كل حين بوجوده معنا ، لكى يزداد فرحنا به ... ولكى نشعر نحن بهذه الشركة المقدسة ، شركة الله فى حياتنا ، وشركتنا نحن معه ، فى الحب ، وفى العمل ...



مشاعر السلام ...
فى الوجود مع الله

مشاعر السلام
فى الوجود مع الله

إن أول عبارة كان يقولها الرب ، حين يلتقى بأحبائه هى « سلام لكم » (لو٢٤ : ٣٦ ، يو٢٠ : ١٨) . وقبل صلبه ، لكى يعزى تلاميذه بأنه سيكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، قال لهم « سلامى أترك لكم ، سلامى أنا أعطيكم » (يو١٤ : ٢٧) .

كل من يوجد فى حضرة الله ، يشعر بسلام عميق .

يشعر باطمئنان داخلى ، لوجوده مع الله . يشعر بالسلام الذى يشعر به البحارة حينما يصلون إلى الميناء ، فيستريحون فيه . كذلك من يجد راحته فى الرب ، يشعر بسلام... مثال ذلك قول القديس أوغسطينوس للرب « ستظل قلوبنا فى قلق ، إلى أن تجد راحتها فيك » .

فى هذا السلام ، يختفى كل خوف ، وكل قلق واضطراب .

إن كانت حالة الوجود مع الله ، تعنى الإحساس بسكنى الروح القدس داخل القلب ، فإن من ثمار الروح محبة وفرح وسلام (غل٥ : ٢٢) . ولا شك أن المحبة والفرح ينشئان سلاماً داخلياً ... أخيراً وجدتك يارب ، فامتلأ قلبى فرحاً ، ولسانى تهليلاً ، وأصبح فى قلبى سلام . سلام معك ، إذ قد تصالحنا ، مادمت أنت موجوداً فىّ وأنا فيك .

يفقد الإنسان سلامه بالخطية ، فالخطية هي انفصال عن الله .

في حالة الخطية ، يبتعد الإنسان عن الله ، لا يشعر بالوجود معه ، لذلك يفقد سلامه حقاً « لا سلام - قال الرب - للأشرار » (أش٤٨ : ٢٢) . هكذا حدث لآدم لما أخطأ ، خاف ، أختبأ ، لأنه انفصل عن الله . وكان من قبل في سلام ، وهو شاعر بالوجود في حضرة الله . وقايين أيضاً فقد سلامه ، وأصبح قلقاً ، وتائهاً وهارباً في الأرض ، لأنه انفصل بالخطية عن الله ، كما قال « من وجهك أختفي ، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض » (تك٤ : ١٤) .

إن الوجود مع الله هو السلام الحقيقي ، لذلك قال المرتل في المزمور « صرفت وجهك عني فصرت قلقاً » (مز٣٠ : ٧) . من أجل هذا كانت أعمق صرخة يوجهها المصلي إلى الله هي :

لا تحجب وجهك عني ، لا تطرحني من قدام وجهك (مز ٥٠)

إن داود النبي ، وهو شاعر بوجوده مع الله ، كان يغني على المزمار والقيثار في فرح وتهليل ، و يدعو الناس إلى مشاركته ، فيقول « هللوا للرب يا كل الأرض . اعبدوا الرب بالفرح . ادخلوا دياره بالتهليل » (مز١٠٠ : ١ ، ٢) . ولكنه لما أخطأ ، ولم يعد يشعر بالوجود السابق في حضرة الله ، قال « إشفني يارب فإن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد انزعجت جداً » (مز٦) . هذا الإضطراب وهذا الإنزعاج ، ما كان لهما

وجود ، وهو مع الله . فبالخطية يفقد الإنسان سلامه « الأشرار كالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً . لا سلام ، قال إلهي للأشرار» (أش٥٧ : ٢٠ ، ٢١) .

ولكن متى يرجع إلى الخاطىء سلامه ؟

عندما يتوب ، و يعود للوجود مع الله ، يعود إليه سلامه ...

لهذا عندما يتوب الخاطىء ، و يتخلص من حمل خطاياه ، و يسمع صلاة التحليل ، و يشعر أنه قد اصطلح مع الله ، وعاد إلى أحضانه مرة أخرى ، حينئذ يشعر بالفرح و بالسلام...

كان فاقداً سلامه لشعوره بأنه قد أحزن روح الله داخله ، وانفصل عن الرب ، وفقد العزاء الداخلي النابع من الوجود مع الله ، ولم تعد له دالة معه ، ولم يعد له وجه يستطيع أن يرفعه إليه . أما بالتوبة فقد استعاد كل هذا ، ورجع إلى الله وإلى عشرته .

إن الشعور بالحرمان مع الله ، قد يفعل ما هو أكثر من فقدان السلام . قد يوصل إلى الكآبة الدائمة ، وإلى فقد الأعصاب ، وإلى اليأس القاتل ، وقد يؤدى إلى الإنتحار كما حدث ليهوذا...

. أما الرب ـ في وجوده معنا ـ فيعطى سلاماً لكل من يعتصم به ، حتى لأدنس الخطاة ...

أنظروا إلى المرأة التي ضبطت في ذات الفعل ، كيف كانت في خجل

مميت ، وفى عار ، وقد أمسك بها القساة لكى يرجموها بالحجارة ... ولكنها لما وجدت فى حضرة الرب ، أعاد إليها سلامها . دافع عنها ، وخلصها من الذين أدانوها و يريدون قتلها . وقال لها عبارته المملوءة عزاء « وأنا أيضاً لا أدينك » (يو٨: ١١) ، فمضت من عنده بسلام ، سلام من تخلص من الدينونة ... كما قال أيضاً للخاطئة التى بلت قدميه بدموعها « مغفورة لك خطاياك ... إذهبى بسلام » (لو٧: ٤٨ ، ٤٩) .

وفى الوجود مع الله ، كما يشعر الإنسان بسلام من جهة دينونة خطاياه ، يشعر أيضاً بسلام فى ضيقاته ومخاوفه :

حتى إذا « تزعزعت الأرض ، وانقلبت الجبال إلى قلب البحار» يصيح المرتل فى ثقة « الرب إله القوات معنا ، ناصرنا هو إله يعقوب » و يدعو الناس إلى مشاركته فى فرحه قائلاً لهم « هلموا فانظروا أعمال الرب ، التى جعلها آيات على الأرض » (مز٤٦) .

أليشع الذى كان يرى الله وعمله معه ، لم يخف حينما كانت جنود الأعداء محيطة بالمدينة ، أما تلميذه جيحزى فخاف ، لذلك صلى أليشع من أجله قائلاً : « إفتح يارب عينى الغلام فيرى » .

نحن محتاجون أن يفتح الله أعيننا ، لنرى وجوده معنا ...

حينئذ نطمئن ونحيا فى سلام ، واثقين بعمله ، و بأن قوة سمائية تحيط بنا ، و بأن الله قد أرسل ملائكته لتحفظنا من كل شر ومن كل ضربة ،وأننا دائماً فى حمى الله الذى نشعر بوجوده معنا . وهكذا فى كل

مشكلة تصادفنا ، نقول هذه العبارات الثلاث :

مصيرها تنتهى - ربنا موجود - كله للخير...

بالإيمان أن ربنا موجود معنا ، نثق أن كل مشكلة لا بد ستنتهى وأن « كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الرب » (رو٨: ٢٨) . نضع الله بيننا وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ، ونرى الله وحده ، فى محبته وحنانه ورعايته .

وهكذا سلامنا لا ينبع من أسباب خارجية ، وإنما من إيمان داخلنا ، بوجود الله معنا وبعمله لأجلنا .

الله الضابط الكل ، الصانع الخيرات ، الحافظ المعين المنقذ...

إننا لا نفكر فى الضيقة ، بل فى الله الذى يحلها . أما الذى يركز فى الضيقات ، ناسياً وجود الله ، فإنه يتعب .

وهذا واضح فى الحياة العملية ، بأمثلة كثيرة :

أم يتأخر ابنها الصغير ليلاً ، فتضطرب جداً ، وتفكر فى حوادث السيارات ، وحوادث الخطف ، وأذية الناس لإبنها ... وتقلق . ترى أين ابنها الآن ؟ فى مستشفى ؟ أم مات ؟ أم فى بيت غريب ... ؟ على أن هذه الأم ، لو فكرت فى الله الذى « يحفظ الأطفال » (مز١١٦) لاستراحت واطمأنت .

مثال آخر : إثنان يبيتان فى مغارة فى الجبل : أحدهما يفكر فى الذئاب والثعابين والحيات والعقارب ودبيب الأرض ، فيخاف ولا يقدر أن ينام ،

ويـنـتـظـر شـراً وخـطـراً فى كل لحظة !! أما الآخر إذ يؤمن بوجود الله معه وحفظه له ، يبيت مطمئناً .

إن الظروف الخارجية واحدة ، ولكن مشاعر القلوب تختلف !

فيفقد الإنسان سلامه ، إن فقد شعوره بوجود الله معه .

طـفل فى ميدان عام ، يموج بوسائل المواصلات ، لا يخاف مادام يشعر بـأن يد أبيه ممسكة بيده . أما إن شعر أنه وحده ، وأباه ليس موجوداً ، فإنه يصرخ فى فزع . هكذا نحن فى شعورنا بوجود الآب السماوى معنا . وهكذا بطرس على الماء ، فى شعوره بيد المسيح ممسكة بيده ...

إن نظرت إلى البحر تخاف . أنظر إلى عصا موسى ...

حـيـنـئـذ تطمئن ، وتشعر بقوة إلى جوارك هى قوة الله العاملة مع موسى وعـصـاه ، وإذ تـتـأكـد مـن وجـود الله وعـمله ، تتذكر قول موسى « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » .

بـكـل اطـمـئنان وسلام قلبى ، كان الشهداء يتقدمون إلى الموت ، غير مـفـكـريـن فى الـعذابات ، إنما كان يفكرون فى الوجود مع الله فى الأبدية فيمتلئون سلاماً .

فى الوجود مع الله قوة وشجاعة وعدم خوف ...

إن الـقـديـس بولس الرسول ، الذى يشعر بوجود الله معه وفيه ، الذى قـال « بـل المـسيح يحـيـا فـىّ » (غـل ٢) والـذى قـال « وأوجد فيه »

(فى ٣) و هو أيضاً قال عبارته الخالدة « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) . كان يشعر بقوة معه ، أو بقوة الله معه ...

لذلك كان بكل جرأة يشهد لكلمة الله ، وكانت لكلماته قوة . وفيما هو يتكلم عن البر والدينونة والتعفف ، إرتعب فيلكس الوالى ، الذى كان بولس أسيراً أمامه ! (أع ٢٤ : ٢٥) .

وإيليا النبى ، الذى كان أيضاً يشعر باستمرار بوجوده فى حضرة الله ، وكان يقول « حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه » (١مل ١٨ : ١٥) . إيليا هذا ، استطاع بكل شجاعة أن يذهب إلى آخاب و يبكته (١مل١٨ : ١٨) . و بنفس الشجاعة ، يوحنا المعمدان بكت هيرودس .

بنفس الشجاعة دانيال النبى ، صعد إلى علية منزله ، وفتح نافذته المطلة على أورشليم ، وسجد لله العلى ، ولم يخف من جب الأسود ... إن كان الله موجوداً فى كل مكان ، فهو موجود أيضاً بلا شك فى جب الأسود ، يستطيع أن يحمى وأن ينقذ ...

الذين يشعرون بالوجود مع الله ، لا يخافون حتى من الشياطين ...

إن حياة القديس الأنبا انطونيوس مثال واضح لذلك ... بل له مقالة عن ضعف الشياطين . الذين لهم وجود مع الله ، ليس فقط لا يخافون الشياطين ، بل يطردونهم ، لأن الله أعطاهم سلطاناً على قوة العدو ، وكما قال الرسول « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) .

جميلة عبارة «يهرب منكم » ! ... منظر رائع أن نرى الشيطان يهرب من إنسان ! ولكنه الإنسان الذى يكون الله موجوداً معه . كما كانت تهرب من داود النبي الشياطين التى تحارب شاول ، ذلك لأن داود حل عليه روح الرب . وكان الرب معه ، و بوجوده معه تخافه الشياطين ...

إن الوجود مع الله ، وجود فى حالة البر والقداسة ...

وهذه القداسة تخافها الشياطين . إن مجرد ذكر إسم القديسة يوستينة ، جعل الشيطان يهرب ، فآمن كبر يانوس الساحر...

كل إنسان يشعر بوجوده فى حضرة الله ، لا يستطيع أن يخطىء ، والشر يرلا يمسه . مثلما كان يقول يوسف الصديق « كيف أخطىء ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ؟! ...

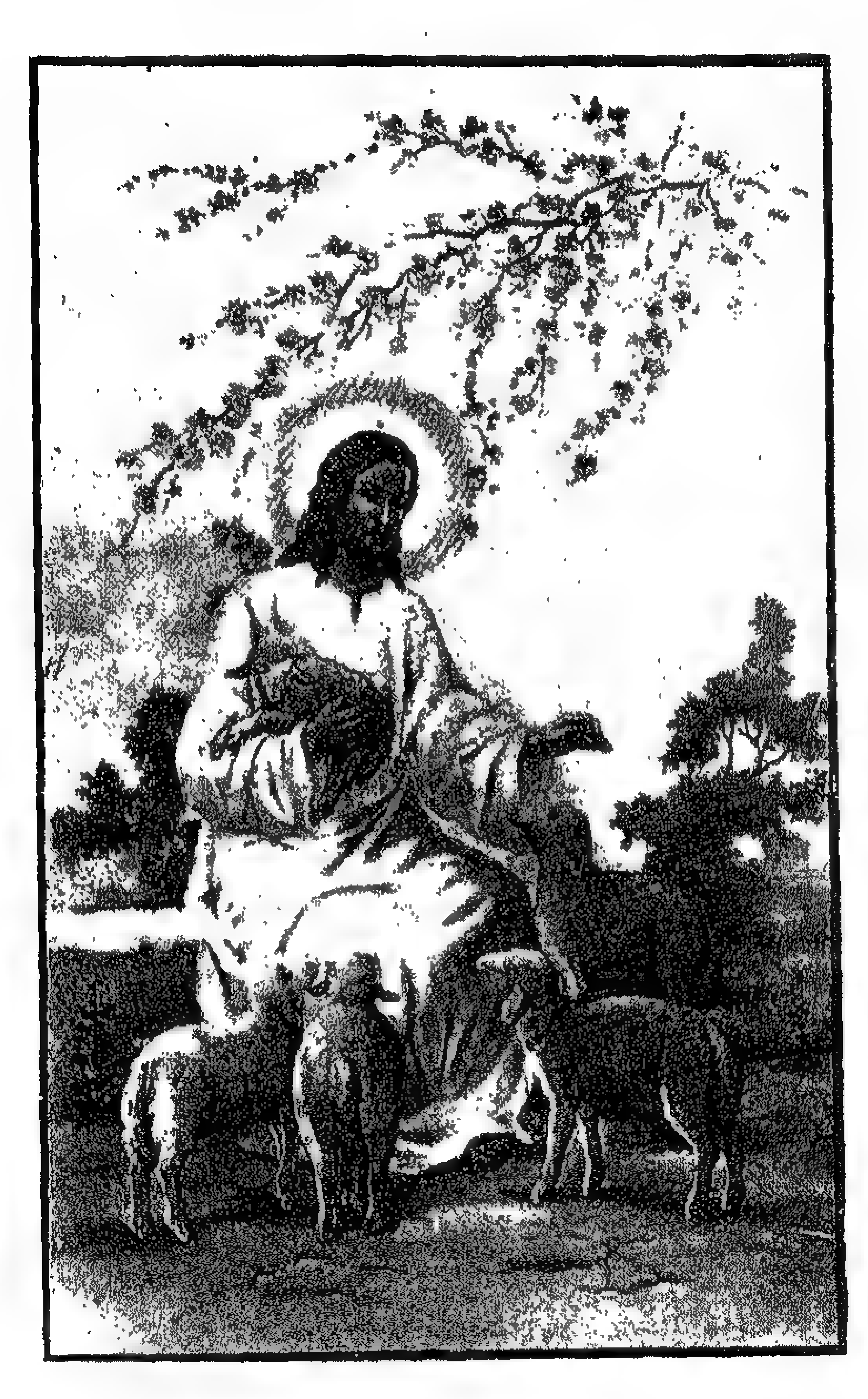
الإنسان الموجود مع الله ، هذا يسكن فيه روح الله ، و بسكناه فيه ، تظهر ثمار الروح فى حياته ، ومنها الصلاح أى البر ، ومنها الفرح والسلام ...

لذلك إن أخطأ إنسان ، بدلاً من أن نبحث الأسباب الخارجية التى دعته إلى الخطية ، علينا أن نسأل سؤالاً واحداً وهو: هل الله موجود فى حياة هذا الإنسان أم لا ؟

إن كان الله موجوداً فى حياته ، تكون حياته براً وفرحاً ...

وتكون حياة محبة وسلاماً . بل تكون حياته هى صورة لملكوت الله على الأرض ...

ما أجمل الوجود مع الله . إنه متعة الروح هنا على الأرض ، وهو أيضاً نعيمها الأبدي في السماء .



فهرست

إحرص أن تحفظ بمجموعة كاملة من :

مؤلفات البابا شـــنوده الثالث

---

١ - إنطلاق الروح

٢ - الوصايا العشر (أربعة أجزاء) .

٣ - صلاة الشكر ، وحياة الشكر .

٤ - حياة مار مرقس الرسول (نفذ) *

٥ - مثلٌ من الرعاية [حياة القمص ميخائيل إبراهيم] (نفذ)

٦ - آدم وحواء - قايين وهابيل .

٧ - تأملات فى يونان النبى .

٨ - تأملات فى حياة الأنبا أنطونيوس .

٩ - تأملات فى الميـــلاد .

١٠ - من وحى الميـــلاد .

١١ - أســـبوع الآلام .

١٢ - تسبحة البصخة (لك القوة والمجد) .

١٣ - كلمات المسيح على الصليب .

١٤ - خمـــيس العـــهد .

* الكتب التى نفذت سيعاد طبعها قريباً إن شاء الله .

١٥ ـ الجمعة الكبيرة .
١٦ ـ شريعة الزوجة الواحدة .
١٧ ـ حياة السكون (نفذ) *
١٨ ـ الغضب والإحتمال (نفذ) *
١٩ ـ كلمة منفعة (٣ أجزاء) .
٢٠ ـ حياة التوبة والنقاوة .
٢١ ـ الرجوع إلى الله .
٢٢ ـ اليقظة الروحية .
٢٣ ـ السهر الروحى .
٢٤ ـ سنوات مع أسئلة الناس ـ الجزء الأول .
٢٥ ـ سنوات مع أسئلة الناس ـ الجزء الثانى .
٢٦ ـ الوجود مع الله .
٢٧ ـ الله وكفى .
٢٨ ـ تأملات فى مزامير صلاة الغروب .
٢٩ ـ يستجيب لك الرب فى يوم شدتك .
٣٠ ـ الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى .
٣١ ـ سبحوا الله (كتاب تراتيل ـ إعداد) .
٣٢ ـ حياة الإيمان .
٣٣ ـ حروب الشياطين .
٣٤ ـ اللاهوت المقارن (للكلية الإكليريكية) .

تأملات فى القيامة .

حياة السكون عند مار اسحق .

الغضب والإحتمال .

محبة المديح والكرامة .

نبذات روحية متعددة .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٩٧٣ / ١٩٨١



باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين



ما هو الوجود مع الله ؟

وكيف تحس أنك موجود فى الحضرة الإلهية ، وأن الله موجود معك ؟

ما هى أوقات الإحساس بالوجود مع الله ؟ وكيف يصبح هذا الإحساس حياة ، وليس لفترات ؟

وما هى طبيعة العلاقة مع الله ، الذى يوجد فينا ، ونحن نوجد فيه ؟

وما هى المشاعر التى تغمر القلب وقت وجوده مع الله ؟ ...

عن هذا كله ، يحاول كتابنا الذى بين يديك أن يجيب .

شنوده الثالث



